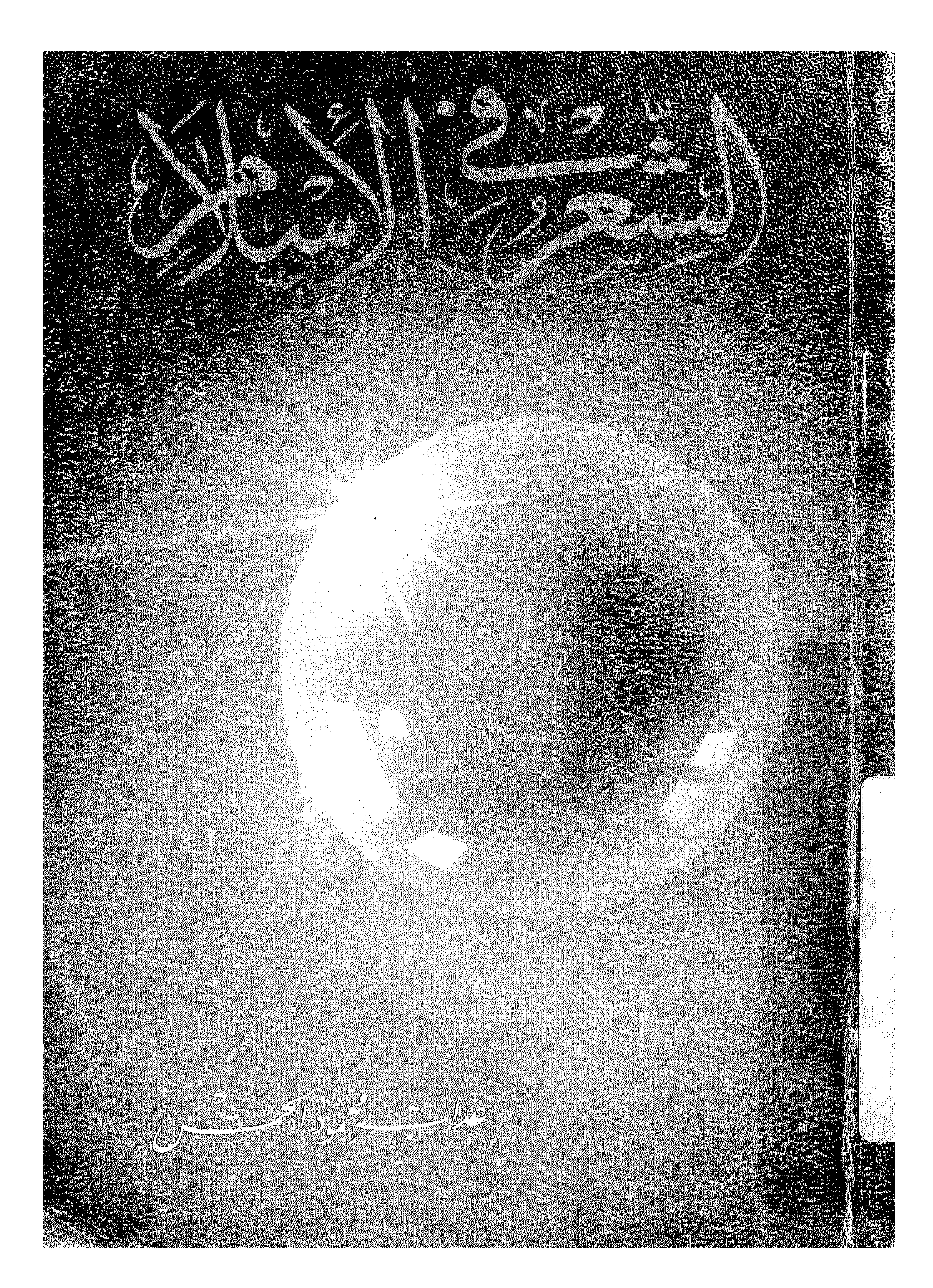
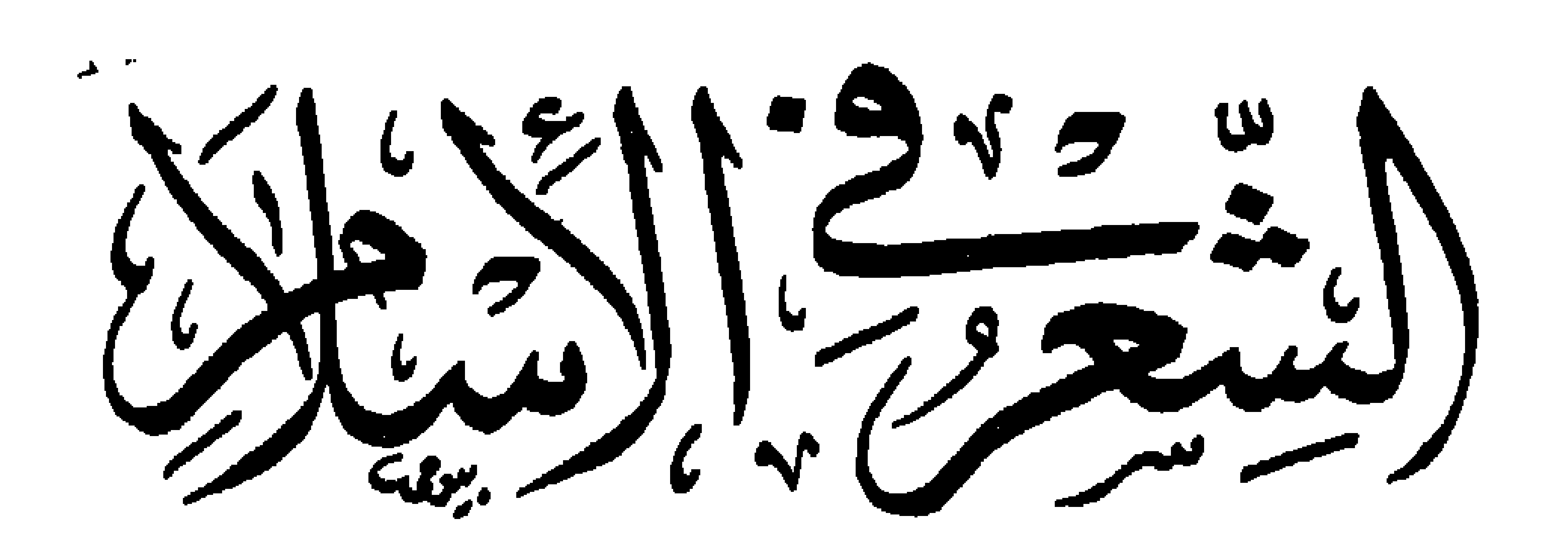


الشعر في الإمارات
غالب محمود الحمش

« إن من الشعر حكمة »

حديث شريف



عداب محمود الحمش

دار الأماني للنشر والتوزيع
الرياض ١١٥٦٥ - ص. ب : ٦١٤٤٢

دار حسان للنشر والتوزيع
الرياض ١١٤٢١ - ص. ب : ٥١٤

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م



استهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ
أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى
ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

النساء (٨٢ ـ ٨٣)

(إن من البيان لسحراً وإن من الشعر حكمة)

حديث شريف

(لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله . . . بصيراً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . بصيراً باللغة ، بصيراً بالشعر، وبما يحتاج إليه للعلم والقرآن) .

الامام الشافعي

الإهداء

إلى أخي الحبيب مصطفى عبد السلام
رفيق على طريق الإخاء والوفاء
هدية إخلاص وعربون مودة وذكرى

عداب

دوحة الشعر

القلب صَفَّق تحناناً وعرفاناً
والروح ترقص في الأعطاف تيهانا
والعين تبسم، والأنداء هازجة
تسيل رقراقة، تنساح ألحانا
ترتّب اللحن موسيقى، تخّر لها
كوامن الحسّ إرهافاً وتحنانا
في دوحة الشعر والأنسام هامسة
تحلو الحياة، ويبقى الذوق نشوانا
في بردة الشعر، نسمو فوق كوكبها
وفرقد الكون لا نألوه عرفانا
(ما الشعر إلا عطاء الله يمنحه
صفوَ الأنام أحاسيساً، ووجدانا)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين. الذي أنزل في كتابه المتلوّ إلى يوم الدين:

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ (١)

الشعراء ٢٢٤ ـ ٢٢٧

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبينا محمد الذي جاء بالقرآن الكريم معجزة خالدة، كان من أبرز جوانب إعجازها البيان: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾. (٢)

---

(١) الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧.

(٢) الشعراء: ١٩٥.

ولا يزال قوله الشريف: «إن من البيان لسحراً، وإن من الشّعر حكمة»؛[٣] يقرع آذان الخاملين لينتبهوا، والنابهين ليتدبروا آي الذكر الحكيم.

أما بعد: فقد كتب الله تعالى لرسالته الخاتمة إلى خلقه الخلود: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾[٤].

واقتضت حكمته أن تكون ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٢٨﴾[٥].

وتحدّى أمة العرب اللَّسِنة التي فاقت بفصاحتها أمم الأرض جميعاً، أن تتعاون مع الإنس والجن على الاتيان بمثل هذا القرآن:

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾[٦]

ثم تحدّاهم أن يأتوا بعشر سُوَر من مثله:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ

---

(٣) يأتي تخريجه.

(٤) الحجر: ٩.

(٥) الزمر: ٢٨. (٦) الإسراء: ٨٨.

وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ (٧)

بل تحدّاهم أن يأتوا بمثل أي سورة من سوره:

وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ (٨)

وليس هذا التحدي - في نظري - غاية نزول القرآن الكريم، وإنما كان تحقيقاً لغاية كبرى، من وسائلها إفحام الخصم حتى يستسلم، ثم يسلّم ويصدّق، فيتبع ما جاء به القرآن الكريم لتتحق الغاية من خلق الكون وما فيه:

وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ (٩)

---

(٧) هود: ١٣.

(٨) يوسف: ٣٨. ولهذا قال أهل العلم: إن التحدي موجود حتي في سورة الكوثر. لأنها سورة منه!.

(٩) الذاريات: ٥٦. فالكون يسبح لله، وخُلق مسخّراً للجن والإنس. فكان الكون مخلوقاً لعبادة الله!

وأشكال التحدي وخصائصه، وتدخّل المشيئة الإلهية فيه ونحو ذلك من المباحث، لا تعلق لموضوعنا به، فلا نطيل فيه! .

وقد كانت غايتي الكبرى من كتابة هذا البحث تنبيه إخواني طلبة العلم الشرعي، إلى ضرورة الإفادة من كتب اللغة والبيان والأدب والشعر، لأنها ـ وسائر علوم اللسان ـ أساسية لفهم نصوص الكتاب والسنة.

قال الإمام الخطابي :

(إن بيان الشريعة لما كان مصدره عن لسان العرب، وكان العمل بموجبه لا يصحّ، إلا بإحكام العلم بمقدّمته؛ كان من الواجب على أهل العلم وطلاب الأثر؛ أن يجعلوا أولاً عُظْمَ اجتهادهم، وأن يصرفوا جلّ عنايتهم إلى علم اللغة والمعرفة بوجوهها، والوقوف على مُثُلها ورسومها.

ثم إن فنونها[١١] كثيرة، ومنادحها واسعة، والطمع عن الاستيلاء عليها منقطع، والامعان في طلبها يستغرق العمر،

---

(١١) من طريف ما يذكر أن بعض إخواني طلبة العلم، يرى استعمال كلمة (فن وفنون) سبّةً علمية، لأنه يرى ما يراه من الفنّ وأهل الفن! فما رأيه في استخدام الإمام الخطابي لها قبل ألف عام أو تزيد!؟.

ويصدّ عما وراءها من العلم.

وملاك الأمر فيما تمسّ بهم إليه الحاجة معرفة أبواب ثلاثة وهي:

(معرفة الأسماء، وأبنية الأفعال، وجهات الإعراب) فإن من لم يحكم هذه الأصول؛ لم يكمل لأن يكون واعياً لعلم، أو راوياً له، وبالحريّ أن يكون ما يفسده منه أكثر مما يصلحه..)

وقال رحمه الله:

(إن طالب الحديث إذا أغفل معرفة الأبواب الثلاثة التي قدمنا ذكرها، لم يكد يسلم من التصحيف وسوء التأويل وذلك لأن فيما يرد من الحديث ألفاظاً كثيرة متشابهة في الصورة والخطّ متنافية في المعنى والحكم، فحق على طالب الحديث أن يرفق في تأمل مواضع الكلام، ويحسن التأني لمحنة اللفظ، ومعرفة ما يليق به من المعنى؛ ليستوضح به قصده، ويصيب جهته، فإن قوماً أغفلوا تفقّد هذا الباب فلحقتهم سمة التحريف، ولزمتهم هجنة التقصير، وصاروا سبة على أهل الحديث، تُثّنى زلاّتهم وتذكر عثراتهم)[12] أ. هـ.

---

(١٢) غريب الحديث للخطابي ١/٥٣، ٥٧ مقتطفات.

ويغفـر الله لأستاذي العلامة السيد أحمد صقر، فقد كان يوجّه اهتمام طلبة الحديث إلى مثل هذا اللون من الفنون، وكم كان يتألّم حين يسمع أحد الطلبة يستنكر هذا ويقول له: اتقّ الله يا شيخ، نحن لسنـا مطالبين بقـراءة الشعـر والأدب وعيون الأخبار؟ نحن مطالبون بكتاب الله وسنة رسوله؟!.

هذه فيها الفسق وفيها الضلال، ولا أدري ما الفائدة التي نجنيها من الاطلاع على هذه الكتب!

فهل ينتظر من الأستاذ سيد إلا أن ينقضّ عليه بلغة الصّقر؟!.

أجـل! هذا واقـع شهدته، ولا أزال أعاني منه وأتألم له وأخشى أن يصيبني ما أصاب هذا البازيَّ من الكلال والعجز! أمتع الله ببقائه، وأحسن أخريات أيامه، وجعله من عباده المخلصين.

ويرحم الله شيخي العلامة المقرىء محمد سليمان أحمد الحسني الشنـدويلي المصري، الذي كان يشجعني باستمرار على قرض الشعـر، واقتنـاء كتب اللغـة والأدب وشتّى علوم اللسان! وقـد كان يطرح أمامي مشكلات نحوية وبيانية وأدبية وذوقية، في كتاب الله تعالى، يوم كنت أتتلمذ عليه فيه، وكم

كان يقول: (إذا رأيت العالم لا يتذوق القرآن فاحكم بجهله وقلة أدبه!).

وقد تناولت في هذا البحث مسائل متعددة حول دور الشعر في خدمة كتاب الله وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، كما ناقشت مشكلات عديدة تتعلق بذم الشعراء والشعر، وكراهية بعض علماء السلف له. وبينت بالأمثلة الموثقة اعتماد سلفنا الصالح في تفسير كثير من آيات القرآن الكريم وألفاظ الحديث النبوي، على الشعر الصحيح غير المولّد، وتوجيه العلماء لقراءات القرآن على ضوئه، وغير ذلك كثير مما تراه في تضاعيف هذا البحث الوجيز.

ولم أتطرّق في بحثي هذا إلى دور الشعر في التربية، ولا إلى دوره في الدعوة والجهاد، لأن لذلك مواضعه الخاصة به ولأنني قصدت من بحثي نصيحة طلبة العلم للإفادة من كتب الأدب والبيان في مسيرتهم العلميّة وخدمة كتاب الله وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلّم.

والله أسأل أن يبارك جهدي، وأن يتقبل عملي، وأن يقيني شرّ نفسي، وشرّ الأشرار إن ربي رؤوف ودود.

وليس لطيفاً إلقاء قلمي الواجف قبل تقديم خالص الشكر والامتنان إلى مؤسسة راسم للدعاية والإعلان كفاء تحمّل المسؤولين والعاملين فيها ما تطالعهم به كثبان (العذاب) مع كل صباح من يوم تسلم الكتاب للإخراج إلى يوم تسلّمه، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين.

كتبه/ عذاب محمود الحمش

ليلة عيد الفطر ١٤٠٥هـ

المبحث الأول
الرسول والرسالة بين الوحي والشعر

ربّ قائل يقول :

جاءت في كتاب الله تعالى عدة آيات تنفي أن يكون النبي شاعراً، فلوكان الشعر ممدوحاً، ويلزم للأمة في حياتها، لكان أولى الناس بقوله وإتقانه النبي صلى الله عليه وسلم فلما لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم شاعراً، بل قال فيه تعالى: ﴿وما ينبغي له!﴾ دلّ على أن الشعر مذموم!

والشافعي نفسه الذي نُقلت عنه شرائط الاجتهاد في الدين، ومنها كونه يحسن من اللغة والشعر ما يفسّر به كلام الله وكلام رسوله، قد نقل عنه أيضاً ذم الشعر، قال:[١٣] (العلم علمان: علم الدين هو الفقه، وعلم الدنيا وهو الطبّ، وما سواه من الشعر وغيره عبث!).

---

(١٣) آداب الشافعي ومناقبه للرازي ص ٣٢١، ومناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ١١٤، والنبلاء ١٠/ ٤١.

والجواب على ذلك: أنه من المحال حمل هذا اللفظ على ظاهره، لأن الأصمعي يقول:

أخـذت شعـر هذيل عن الشـافعي، ومثله قال مصعب الزبيري!، [١٤] وهو نفسه شاعر فحل.

قال المبّرد: دخل رجل على الشافعي فقال: إن أصحاب أبي حنفية لفصحاء!.

فأنشـأ يقـول:

فلولا الـشـعـر بالـعـلمـاء يزري
لكـنـت الـيوم أشـعـر من لبـيد
وأشـجـع في الـوغـى من كل ليث
وآل مهـلّب وأبـي يزيد
ولـولا خشـية الـرحـمـن ربـي
حسـبـت الـنـاس كلّهـم عبـيدي! [١٥]

ونقـل الـذهبي [١٦] عن الإمام محمد بن محمد بن غانم الذي صنف مجلّداً في مناقب الشافعي أنه جمع ديوان شعر الشافعي كتاباً على حدة!

(١٤) معرفة السنن والآثار للبيهقي ١/١٢٧. والمناقب للبيهقي ٢/٤٤ والنبلاء ١٠/٤٩.

(١٥) المناقب للبيهقي ٢/٦٢ والنبلاء ١٠/٧٢.

(١٦) البنلاء ١٠/٧٣.

وشهرة الشافعي في اللغة والشعر لا تخفى .

وعلى هذا فإن كلام الشافعي يحمل على أحد معنيين :

الأول : أن اهتمام العالم أو الأديب بالشعر حتى يجعله ديدنه، ويصرف له أوقاته، حتى إنه لا يقوم ولا يقعد إلا مع الشعر، هذا هو العبث! مهما كانت الدوافع والأغراض، أما أن يقول الإنسان الشعر، ويدافع فيه عن دينه وعرضه من غير أن يشغله عن واجباته الشرعية الأخرى، فليس في هذا عبث.

والثاني : أن يحمل كلام الإمام الشافعي، على الشعر الوضيع، سواء تتبعه الإنسان أو قاله، لأنه عبث يتنزه عنه أهل العلم، وصالحوا المؤمنين، والشافعي نفسه لم ينقل عنه إلا شعر الحكمة . .

وأما نفي الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم قول الشعر، وعدم تمكُّنه أو تمكينه منه، فإليك شرح ذلك وبيانه :

لقد وردت في كتاب الله تعالى الآيات الكريمة الآتية تحدد صلة النبي صلى الله عليه وسلم بالشعر:

١ـ قال تعالى : (١٧) بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ

---

(١٧) الأنبياء : ٥ . والصافات : ٣٦ . والطور : ٣٠ .

بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾

الانبياء : ٥ وقوله :

وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾

الصافات : ٣٦ وقـوله :

أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾

الطور: ٣٠

قال سيد قطب(١٨) ـ رحمه الله ـ (ولم يثبتوا على صفة له! ولا على رأي يرونه فيه، لأنهم إنما يتمحّلون، ويحاولون أن يعللوا أثره المزلزل في نفوسهم بشتّى التعلاّت فلا يستطيعون فينتقلون من ادّعاء إلى ادّعاء، ومن تعليل إلى تعليل، حائرين غير مستقرّين . .).

وقال عـزّ وجلّ:

(١٩)
وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾

يقول سيد قطب:

---

(١٨) في ظلال القرآن ٤/٢٣٦٨.

(١٩) يس: ٦٩.

(وردت قضية الـوحي في أول السـورة:

﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾﴾

والآن تجيء في صورتها هذه للردّ على ما كان يدّعيه بعضهم من وصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر، ووصف القرآن الكريم بأنه شعر! .

وما كان يخفى على كبراء قريش، أن الأمر ليس كذلك، وأن ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم قول غير معهود في لغتهم، وما كانوا من الغفلة بحيث لا يفرّقون بين القرآن والشعر، إنما كان هذا طرفاً من حرب الدعاية التي شنّوها على الدين الجديد وصاحبه صلى الله عليه وسلم في أوساط الجماهير. معتمدين فيها على جمال النسق القرآني المؤثّر الذي يجعل الجماهير تخلط بينه وبين الشعر إذا وجّهت هذا التوجيه!) .[٢٠]

ولا يظننّ أحد أن ما قرره سيد رحمه الله، مخالف لما سبق تقريره من أن الصحابة كانوا يفهمون القرآن الكريم، إذ المقصود ـ دائماً ـ أهل العلم والفكر والرأي، أما عامّة الناس

---

(٢٠) الظلال ٥/٢٩٧٥.

فهم عامّة الناس في كلّ آن، تؤثّر فيهم الدعاية، ويغلب عليهم الجهل الكلّي أو الجزئي النسبي!

ومما يؤيد ما قاله سيّد رحمه الله تعالى، وإمكانه، ما ذكره الحافظان ابن عساكر والذهبي[٢١] عن عبدالله بن رواحة رضي الله عنه، أنه كانت له جارية يواقعها في غفلة زوجته، فبصرت به زوجته يوماً قد خلابها، فقالت: لقد اخترت أمَتكَ على حرتك؟ فقال سبحان الله! يريد إيهامها أنه لم يفعل. فقالت: فإن كنت صادقاً فاقرأ آية من القرآن. قال:

شهدت بأن وعد الله حق وأنّ النّار مثوى الكافرينا

قالت فزدني آية، فقال:

وأن العرش فوق الماء طاف
وفوق العرش ربّ العالمينا
وتحمله ملائكة كرام
ملائكة الآله مقرّبينا!

فقالت: آمنت بالله، وكذبت البصر، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدّثه فضحك. ولم ينكر عليه!!)أ. هـ

---

(٢١) تهذيب تاريخ دمشق ٧/٣٩٥، والنبلاء ٢/٢٣٨ وفي إسناد الخبر نظر.

قـال عداب:

كنت أقرأ مرة حديث النبي صلى الله عليه وسلّم (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى إليهما ثالثاً. . . !) الحديث. قراءة ترتيل! فاستمع أحد المثقفين! خاشعاً ثم قال: ما أعظم هذه الآيات! في أي سورة هذه؟ أريد أن أحفـظها، فأمليته عليه، ثم قلت له: هذا حديث صحيح أخرجه مسلم!!.

ويتابع سيّد قوله في تفسير قوله تعالى:

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾

(وهنا ينفي الله ـ سبحانه ـ أنّه علّم الرسول الشعر، وإذا كان الله لم يعلّمه؛ فلن يُعلَّم. .

ثم ينفي لياقة الشعر بالرسول صلى الله عليه وسلم: (وما ينبغي له!):

فللشعر منهج غير منهج النبوة. الشعر انفعال، وتعبير عن هذا الانفعـال. والانفعال يتقلب من حال إلى حال. والنبوة وحي، على منهج ثابت على صراط مستقيم، يتبع ناموس الله الثـابت الـذي يحكم الـوجود كله، ولا يتبدل ولا يتقلب مع الأهواء الطارئة، تقلّب الشعر مع الانفعالات المتجددة التي لا تثبت على حال.

والنبوة اتصال دائم بالله، وتلق مباشرة عن وحي الله، ومحاولة دائمة لرد الحياة إلى الله، بينما الشعر - في أعلى صوره - أشواق إنسانية إلى الجمال والكمال، مشوبة بقصور الإنسان وتصوراته المحدودة بحدود مداركه واستعداداته.

فأما حين يهبط عن صوره العالية، فهو انفعالات ونزوات قد تهبط حتى تكون صراخ جسد، وفورة لحم ودم!

فطبيعة النبوة وطبيعة الشعر مختلفتان من الأساس. هذه -في أعلى صورها - أشواق تصعد من الأرض. وتلك في صميمها هداية تتنزل من السماء!). [٢٢]

٣- وقال تبارك وتعالى:

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [٢٣]

يقول سيد[٢٤] رحمه الله: (فالشعر قد يكون موسيقي الايقاع، رائع الأخيلة، جميل الصور والظلال، ولكنه لا يختلط أبداً ولا يشتبه بهذا القرآن، إن هنالك فارقاً أساسياً فاصلاً بينهما.

---

(٢٢) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٧٥.

(٢٣) الحاقة: ٤٠- ٤١.

(٢٤) الظلال ٦/ ٣٦٨٦.

إن هذا القرآن يقرر منهجاً متكاملاً للحياة يقوم على حقّ ثابت ونظرة موحدة، ويصدر عن تصور للوجود الإلٰهي ثابت وللكون والحياة كذلك.

والشعر انفعالات متوالية وعواطف جياشة، قلّما تثبت على نظرة واحدة للحياة في حالات الرضى والغضب، والانطلاق والانكماش، والحب والكره، والتأثيرات المتغيرة على كل حال.

هذا إلى أن التصوّر الثابت الذي جاء به القرآن، قد أنشأه القرآن من الأساس، في كلياته وجزئياته، مع تعين مصدره الإلٰهي.

فكل ما في هذا التصور يوحي أنه ليس من عمل البشر فليس من طبيعة البشر أن ينشؤوا تصوراً كونياً كهذا التصوّر لم يسبق لهم هذا ولم يلحق.

وهذا كل ما أبدعته قرائح البشر من تصورات للكون، والقوة المنشئة له، المدبّرة لنظامه.. هذا هو معروضاً مسجلاً في الفلسفة وفي الشعر، وفي غيرها من المذاهب الفكرية؛ فإذا قرن إلى التصوّر القرآني، وضح أن هذا التصوّر صادر من جهة غير تلك الجهة! وأنه متفرد بطابع معين، يميزه من كل

تصورات البشر)أ. هـ.

لقد آثرت نقل هذه النصوص بطولها ، لأنها توضح القصد ببراعة ووضوح، بما يغني عن أي كلام آخر، إضافة إلى أن سيداً ـ رحمه الله ـ ينفرد بمثل هذا التحليل عن السابقين والمعاصرين.

هذه هي الآيات التي تحدثت عن صلة النبي صلى الله عليه وسلم بالشعر، وقد بات سبب إبعاد ربه تعالى له عن الشعر واضحاً، كما غدا واضحاً ما بين الشعر والقرآن من تمايز.

المبحث الثاني
الشعر والشعراء في القرآن الكريم

هذه هي المرة الوحيدة التي وردت آيات من كتاب الله تذم الشعراء، واستثنى آخرها المؤمنين منهم من الذمّ.

قال تعالى:

وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ
بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧)

الشعراء

وسأحاول فهم هذه الآية استناداً إلى ما أثر عن السلف في تفسيرها، وإعمالاً للعقل والفكر في رحابها التي تتسع لما قاله السلف، وما سيقوله أهل العلم من معانٍ جديدة تحتملها حروفها القدسية، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

١ـ ما جاء في أسباب نزول هذه الآية :

أـ أخرج ابن جرير[٢٥] من حديث محمد بن سعد العوفي قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من الأنصار، والآخر من قوم آخرين، وأنهما تهاجيا، وكان مع كل منهما غواة من قومه، وهم السفهاء، فقال الله تعالى :

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾

وهـذا إسناد مظلم ما بين شيخ الطبري والراوي عن ابن عباس، لا يحتج بواحد من رواته[٢٦].

ب ـ وأخرج[٢٧] ابن جرير نحوه عن الضحاك. وهو مقطوع على التابعي، وفيه إبهام شيخ ابن جرير لأنه قال: حُدثت عن الحسين. . .

(٢٥) تفسير الطبري ١٩/٢٧. وزاد السيوطي في الدر المنثور ٥/٩٩ نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢٦) قد فصلت القول على هذا الاسناد في بحثي (ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه) ص ٦٤ ـ ٦٧ ط الرابعة.

(٢٧) تفسير الطبري ١٩/١٢٧.

جـ ـ وأخرج ابن أبي حاتم(٢٨) عن عكرمة نحوه.

وهذان إذا صحت نسبتهما إلى صاحبيهما عكرمة والضحاك، فيستأنس بهما من غير احتجاج! ولأمر ما قال الحافظ ابن كثير: (٢٩) (ولكن هذه السورة ـ الشعراء ـ مكية، فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات شعراء الأنصار؟ وفي ذلك نظر، ولم يتقدم إلا مرسلات لا يعتمد عليها).

٢ـ بعض ما أثر في تفسير هذه الآيات:

لقد أورد ابن جرير(٣٠) عدة أقوال في تفسير (الغاوون).

فروى عن ابن عباس أنهم: رواة الشعر.

وروى عن قتادة ومجاهد أنهم: الشياطين، وعن عكرمة أنهم: عصاة الجن!.

وروى عن ابن عباس والضحاك أنهم السفهاء! وعن ابن عباس وابن زيد أنهم ضلّال الجن والإنس من الكفّار والمشركين.

والملاحظ أن هذا الاختلاف الوارد عن السلف في تفسير (الغواة) اختلاف تنوع، وليس اختلاف تضادّ! فيحتمل اللفظ

(٢٨) الدر المنثور ٥/ ٩٩ ذكره من غير إسناد.

(٢٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٥٤.

(٣٠) تفسير الطبري ١٩/ ١٢٧. والدر المنثور ٥/ ٩٩.

هذه المعاني جميعاً، بل وغير ذلك أيضاً.

قال ابن جرير:[31] وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: إن شعراء المشركين معهم غواة الناس، ومردة الشياطين، وعصاة الجن، وذلك أن الله عمّ بقوله: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾﴾ فلم يخصص بعض الغواة دون بعض، فذلك على جميع أصناف الغواة التي دخلت في عموم الآية).

وفي تفسير قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾

روى عن ابن عباس أنه فسرها: في كل لغو يخوضون. وعن مجاهد: في كل فن يفتنّون. وعن قتادة: يمدحون قوماً بباطل، ويشتمون قوماً بباطل.

قال ابن جرير:[32] (ألم تر يا محمد أنهم ـ الشعراء ـ في كل واد يذهبون، كالهائم على وجهه على غير قصد، بل جائراً على الحق وطريق الرشاد وقصد السبيل، وإنما هذا مثل ضربه الله لهم في افتنانهم في الوجوه التي يفتنّون فيها بغير حق، فيمدحون قوماً بالباطل، ويهجون آخرين كذلك

(٣١) الطبري ١٩/١٢٧ـ١٢٨.

(٣٢) هذه الأقاويل كلها في الطبري ١٩/١٢٨.

بالكذب والزور).

وفي قوله:

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝٢٢٦﴾

روى عن ابن عباس أنهم شعراء المشركين، أكثر قولهم الكذب، ونحوه عن أبي بن كعب. بينما عمّ ابن جرير فقال: يقول: وأكثر قولهم باطل وكذب!.

٣ـ ما جاء في تفسير الاستثناء وسبب نزوله:

قال الإمام ابن جرير:(٣٣) (ذكر أن هذا الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ نزل في شعراء الرسول صلى الله عليه وسلّم. كحسّان بن ثابت، وكعب بن مالك. ثم من كان بالصفة التي وصفه الله بها).

وروى عن سالم البرّاد مولى تميم الداري قال: لما نزلت ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۝٢٢٤﴾ جاء حسّان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون. فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أننا شعراء. فتلا النبي صلى الله عليه وسلم:

---

(٣٣) الطبري ١٩/١٢٩. والدر المنثور ٥/٩٩ عن عدد سوى ابن جرير. وانظر النبلاء ١/٢٣٣.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾

الى آخر الآيات.

وروى عن عطاء أن هذا الاستثناء نزل في شعراء الرسول الثلاثة المذكورين.

وروى عن ابن عباس أن الله استثنى الشعراء المسلمين منهم.[٣٤].

وأخرج ابن سعد[٣٥] وغيره عن عروة نحو ما ذكر عن عطاء ابن يسار وسالم البرّاد، بيد أن المقاطيع كلها، تندرج تحت قول ابن كثير من أنها (مرسلات لا يعتمد عليها، ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم..).

وفي تفسير قوله تعالى:

﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾

ذكر اختلاف السلف في حال الذكر، هل هو في شعرهم أو في حال منطقهم ومحاوراتهم الناس؟ فنقل عن ابن عباس أن ذلك في كلامهم، ونقل عن جابر بن زيد: أن ذلك في

---

(٣٤) الطبري ١٩/١٢٩.

(٣٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٥٢٨. والدر المنثور ٥/٩٩ وزاد نسبته إلى عدد غير ابن سعد. والنبلاء ١/٢٣٣.

شعرهم. ثم قال ابن جرير:(٣٦)

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف هؤلاء الذين استثناهم من شعراء المؤمنين بذكر الله كثيراً، ولم يخصّ ذكـرهم الله على حال دون حال في كتابه، ولا على لسان رسوله، فصفتهم أنهم يذكرون الله كثيراً في كل أحوالهم).

وفي تفسير قوله تعالى:

﴿وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾.

رجّـح ابن جرير أنهم ردّوا على ما هُجُـوا به وأخـرج ابن مردويه(٣٧) من حديث أبي هريرة، أن قرظة بن كعب وعبدالله بن رواحة، وحسان بن ثابت جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلّم فقالوا: إنا نقول الشعر، وقد نزلت هذه الآية، فقال: اقـرؤوا، فقـرؤوا إلى قولـه: **﴿إلا الـذين آمنـوا وعملوا الصالحات﴾** فقال: أنتم! **﴿وذكروا الله كثيراً﴾** قال: أنتم: **﴿وانتصروا من بعدما ظلموا﴾** قال: أنتم.

---

(٣٦) الطبري ١٩/١٢٩.

(٣٧) الدر المنثور ٥/١٠٠.

هذه خلاصة ما ورد عن السلف في تفسير هذه الآيات، وقد قصدت في إيراد ذلك كله، التنبيه إلى أن سلفنا الصالح، قد قاموا بدراسة كلّ لفظة من ألفاظ القرآن الكريم.

وإذا كانت ثمة أمور يمكن فهمها من هذه الآيات، لم تنقل عنهم، فلأنهم كانوا يريدون تقريب البعيد، وتحديد المسار لأن المعنى الإجمالي يسهل استيعابه بعد ذلك. على أن فضل الله تعالى ليس مقصوراً على المتقدمين، فقد يفتح الله على عبد من المتأخّرين ما لم يعرفه المتقدمون. وفضل الله واسع!.

٢- الأديب سيد قطب رحمه الله مع آيات الشعراء:

مهما قال المفسّرون حول آيات الشعر، فإن تعبير شاعر عالم منصف، سيكون أدقّ، وأشمل، وأعمق، لأنه يعايش هذا اللون من الفنون وتتلجلج في حناياه مشاعر الشاعر وانفعالات الشعراء.

أضف إلى هذا كله، رغبتي في إبراز شخصية سيد قطب التفسيرية، التي لا تروق لكثيرين من أساتذة التفسير التحليلي، الذين يمضون مع الآية الواحدة الساعات الطويلة يدرسون القصر والحصر، والتهويل والمبالغة، وأوجه البيان

وهـذا حسن ، بيد أنهم يتـركون المعاني الكثيرة التي نثروها مفككة في ذهن السامع، بعيدة عن الفكرة الجامعة، ومسرى الآيات، وغاية ورودها!.

أما سيّد رحمه الله ، فإنه لا يغفل عن الجانب الأول، ولكنه يولي اهتمامه الجانب الثاني لأنه هو الغاية من ورود الآي!. وقد كان سيد ـ رحمه الله ـ مرشّحاً لتأسيس مدرسة أدبية مستقلة تنتسب إليه، بيد أن الطغاة يعتّمون على كل ما هو إسلامي وأدباء السوق لا يعنيهم سوى التجارة!.

قال رحمه الله :

(جـاء القرآن يبيّن لهم في هذه السورة أن منهج محمد صلى الله عليه وسلم ، ومنهـج القـرآن، غير منهـج الشعراء ومنهج الشعر أصلاً.

فإن هذا القرآن يستقيم على نهج واضح ، ويدعو إلى غاية محدّدة، ويسير في طريق مستقيم إلى هذه الغاية.

والرسول ـ صلى الله عليه وسلّم ـ لا يقول اليوم قولاً ينقضه غداً ، ولا يتبع أهواء وانفعالات متقلبة ، إنما يصرّ على دعوة ويثبت على عقيدة، ويدأب على منهج لا عوج فيه. والشعراء ليسـوا كذلـك. الشعـراء : أسـرى الانفعـالات والعـواطف

المتقلبة، تتحكم فيهم مشاعرهم، وتقودهم إلى التعبير عنها كيفما كانت، ويرون الأمر في لحظة: أسود، وفي لحظة أبيض، يرضون فيقولون قولاً، ويسخطون فيقولون قولاً آخر ثم هم أصحاب أمزجة لا تثبت على حال! . .

هذا إلى أنهم يَخْلقُون عوالم من الوهم يعيشون فيها ويتخيّلون أفعالاً ونتائج، ثم يخالونها حقيقة واقعة يتأثرون بها. فيقلّ اهتمامهم بواقع الأشياء، لأنهم يخلقون هم في خيالهم واقعاً آخر يعيشون عليه.

فمنهج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومنهج الشعراء مختلفان، ولا شبهة هناك، فالأمر واضح صريح . .

هذه توطئة لتفسير الآيات. . ثم تابع:

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾

فهم يتبعون المزاج والهوى ومن ثَمَّ يتبعهم الغاوون الهائمون مع الهوى! الذين لا منهج لهم ولا هدف. وهم يهيمون في كل وادٍ من وديان الشعور والتصوّر والقول، وفق الانفعال الذي يسيطر عليهم في لحظة من اللحظات تحت وقع مؤثر من المؤثرات.

وهم يقـولون ما لا يفعلون، لأنهم يعيشون في عوالم من صنع خيالهم ومشاعرهم، يؤثرونها على واقع الحياة الذي لا يعجبهم! ومن ثم يقـولـون أشياء كثيرة ولا يفعلونهـا، لأنهم عاشوها في تلك العوالم الموهومة، وليس لها واقع ولا حقيقة في دنيا الناس المنظورة! . . .

ومع هذا فالإسلام لا يحارب الشعر والفنّ لذاته ـ كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ ـ إنما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر والفنّ! منهج الأهواء والانفعالات التي لا ضابط لها ومنهج الأحلام المَهُومة التي تشغل أصحابها عن تحقيقها.

فأما حين تستقـر الروح على منهـج الإسـلام، وتنضح بتـأثـراتها الإسلامية شعراً وفنّاً، وتعمل في الوقت ذاته على تحقيق هذه المشـاعـر النبيلة في دنيا الـواقع. .

فالإسلام - عندئذٍ ـ لا يكره الشعر ولا يحارب الفن.

ولقد وجه القرآن القلوبَ إلى بدائع هذا الكون، وإلى خفايا النفس البشرية، وهذه وتلك من مادة الشعر والفن.

وفي القرآن وقفات أمام بدائع الخلق والنفس، لم يبلغ إليها شعـر قط، في الشفـافية، والنفـاذ والاحتفال بتلك البدائع. وذلك الجمال.

ومن ثم يستثني القرآن الكريم من ذلك الوصف العام للشعراء.

﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيرا، وانتصروا من بعدما ظلموا﴾.

فهؤلاء ليسوا داخلين في ذلك الوصف العام. هؤلاء آمنوا فامتلأت قلوبهم بعقيدة، واستقامت حياتهم على منهج وعملوا الصالحات فاتجهت طاقاتهم إلى العمل الخيّر الجميل ولم يكتفوا بالتصورات والأحلام، وانتصروا من بعدما ظلموا فكأن لهم كفاح ينفثون فيه طاقتهم ليصلوا إلى نصرة الحق الذي اعتنقوه.

ومن هؤلاء الشعراء الذين نافحوا عن العقيدة وصاحبها في إبان المعركة مع الشرك والمشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة ـ رضي الله عنهم ـ من شعراء الأنصار.

ومنهم عبدالله بن الزبعرى، وأبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب. وقد كانا يهجوان رسول الله صلى الله عليه وسلم في جاهليتهما، فلما أسلما حسن إسلامهما، ومدحا رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ونافحا عن الإسلام..

والصور التي يتحقق بها الشعر الإسلامي، والفنّ الإسلامي كثيرة غير هذه الصورة التي وجدت وفق مقتضياتها.

وَحَسْبُ الشعر أو الفنّ أن ينبع من تصور إسلامي للحياة في أي جانب من جوانبها، ليكون شعراً أو فناً يرضاه الإسلام.

وليس من الضروري أن يكون دفاعاً ولا دفعاً، ولا أن يكون دعوة مباشرة للإسلام، ولا تمجيداً له، أو لأيام الإسلام ورجاله.

ليس من الضروري أن يكون في هذه الموضوعات، ليكون شعراً إسلامياً..

وإن نظرة إلى سريان الليل، وتنفس الصبح، ممزوجة بشعور المسلم الذي يربط هذه المشاهد بالله في حسّه، لَهي الشعر الإسلامي في صميمه.

وإن لحظة إشراق واتّصال بالله، أو بهذا الوجود الذي أبدعه الله، لكفيلة أن تنشيء شعراً يرضاه الإسلام.

ومفرق الطريق: أن للإسلام تصوراً خاصاً للحياة كلّها وللعلاقات والروابط فيها، فأيما شعر نشأ من هذا التصوّر، فهو

الشعر الذي يرضاه الإسلام). [٣٨]

ترى! هل قرئ عن فلسفة الشعر في الإسلام أروع من هذا، وأنبل! .

---

(٣٨) في ظلال القرآن ٥/ ٢٦٢١ فما بعد باختصار يسير.

المبحث الثالث
الشعر والشعراء في السنة النبوية

وردت في السنة النبوية عشرات الأحاديث التي تحدثت عن الشعر والشعراء، فمنها ما يحكي استماع النبي صلى الله عليه وسلّم إلى الشعر، ومنها يحكي طلب النبي صلى الله عليه وسلم من بعض الشعراء أن ينشده شعراً، ومنها يحكي تناشد الصحابة الشعر في حضرة النبي صلى الله عليه وسلّم دون إنكار منه، بل كان يتبسّم!، ومنها يورد أمره صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة بهجاء المشركين ومنها ما يشجع النبي فيه الشعراء، ويقول لهم بأن روح القدس يؤيدهم، وبعضها يَعدّ الشعر من الجهاد باللسان! ومنها ما ينصّ على أن النبي صلى الله عليه وسلّم كان يطلب من أحد الشعراء الحُداء إذا كانوا في سفر.

ومنها ما ينصّ على كراهية النبي صلى الله عليه وسلّم للشعر، وأنه لا يقوله، بل لا فرق عنده بين أن يقول شعراً من عند نفسه، وبين أية كبيرة من الكبائر، ومنها استعاذته بالله من

الشعر، ومنها تفضيل امتلاء الجوف قيحاً على امتلائه شعراً إلى غير ذلك من الأحاديث الظاهرة التعارض.

ومثل هذا البحث الوجيز لا يتسّع لسرد أكثر من سبعين حديثاً[39] وردت في إباحة الشعر والنهي عنه!.

وحسبي في هذا المقام أن أعرض بضعة أحاديث، من أصح ما ورد في التحريم والإباحة، محاولاً التوفيق بين تعارضها الظاهر.

أ ـ أحاديث النهي عن الشعر:

قال البخاري في صحيحه:[40](باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر، حتى يصدّه عن ذكر الله والعلم والقرآن) وأخرج حديثي أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم:[41]

١ ـ عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال:[42] (لأن يمتلىء

---

(٣٩) أقوم بدراسة أسانيدها وتخريجها في بحث مستقل، أسأل الله إتمامه.

(٤٠) انظر فتح الباري بشرح البخاري ١٠/٥٤٨.

(٤١) أهل الحديث يعدون الأحاديث باعتبار الصحابي، ولو كان متن الحديث متفقاً، فما ذكرته تحت رقم (١) هو في الحقيقة أربعة أحاديث، لأنه عن أربعة من الصحابة كما ترى! وقس على ذلك.

(٤٢) أخرجهما البخاري في الأدب رقم ٦١٥٤ و ٦١٥٥.

جوف أحدكم قيحاً حتى يَرِيَه، خَيرٌ له من أن يمتلىء شعراً).

وأخرج مسلم[٤٣] حديث أبي هريرة أيضاً.

وأخرج مسلم والترمذي حديث سعد[٤٤] بن أبي وقّاص.

وأخرج مسلم والنسائي حديث أبي سعيد الخدري،[٤٥] وألفاظ هذه الأحاديث متقاربة.

٢ـ وأخرج الإمام أحمد في مسنده[٤٦] من حديث عبدالله بن مسعود، وجبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم (كان يتعوذ من همزه ونفثه ونفخه، وقال: همزه الموت، ونفثه الشعر، ونفخه الكبرياء).

٣ـ وأخرج الإمام أحمد عن عائشة[٤٧] رضي الله عنها سئلت: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسامع عنده الشعر؟! قالت: كان أبغض الحديث إليه).

هذه أشهر أحاديث النهي عن الشعر وذمه.

---

(٤٣) أخرجه مسلم في الشعر رقم ٢٢٥٧.

(٤٤) مسلم في الشعر رقم ٢٢٥٨ والترمذي في الأدب رقم ٢٨٥٢.

(٤٥) مسلم في الشعر رقم ٢٢٥٩. والنسائي في الكبرى، فلم أجده في المجتبى!.

(٤٦) حديث ابن مسعود في المسند ١/٤٠٣، ٤٠٤. وحديث جبير فيه ٤/٨١، ٨٣ وأخرجه أبوداود (٧٧٢٥) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٤٧) المسند ٦/١٣٤، ١٤٨ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح!.

٢ـ أحاديث إباحة الشعر:

١ـ أخرج الإمام أحمد في مسنده[٤٨] عن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه حين أنزل الله تعالى في الشعر ما أنزل، أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله قد أنزل في الشعر ما قد علمت، وكيف ترى فيه؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلّم: (إنّ المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه). وفي رواية أخرى (اهجوا بالشعر إن المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والذي نفسي بيده لكأنما تنضحونهم بالنبل!).

٢ـ وأخرج الشيخان من حديث عائشة[٤٩] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اهجوا قريشاً، فإنه أشدّ عليها من وقع النّبل. فأرسل إلى ابن رواحة فقال: اهجهم، فلم يُرضِ: فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسّان، فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه، فجعل يحرّكه، فقال: والذي بعثك بالحق، لأفرينّهم بلساني فَرْيَ الأديم)..

---

(٤٨) المسند ٣/٤٥٦، ٤٦٠.

(٤٩) البخاري في الأدب رقم (٦١٥٠) ومسلم في فضائل حسّان رقم (٢٤٨٧).

قالت عائشة: فسمعت رسول الله صلى عليه وسلّم يقول لحسّان: إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله).

٣ـ وقد جاء عن أبي بن كعب،[٥٠] وابن مسعود،[٥١] وابن عباس[٥٢] رضي الله عنهم قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (إن من الشعر حكمة)!.

٤ـ وعن جابر بن سمرة[٥٣] رضي الله عنه قال: جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرّة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية، فربما تبسّم معهم).

٥ـ وعن الشريد بن سويد الثقفي[٥٤] رضي الله عنه قال: رَدِفت رسول الله صَلى الله عليه وسلّم يوماً فقال: هل معك من

---

(٥٠) أما حديث أبيّ فأخرجه البخاري في الأدب رقم (٦١٤٥) وأبوداود في الأدب رقم (٥٠١٠).

(٥١) أخرجه الترمذي في الأدب رقم (٦١٤٤) وقال: وفي الباب عن أبي بن كعب وابن عباس وعائشة وبريدة. وكثير بن عبدالله عن أبيه عن جده.

(٥٢) أخرجه أبوداود في الأدب رقم (٥٠١١) والترمذي في الأدب رقم (٢٨٤٥).

(٥٣) أخرجه الترمذي رقم (٢٨٥٠) وقال: حديث حسن صحيح.

(٥٤) أخرجه مسلم في الشعر رقم(٢٢٥٥).

شعر أمية بن أبي الصّلت شيء؟ قلت: نعم! قال: هيه!(٥٥) فأنشدته بيتاً، فقال: هيه، ثم أنشدته بيتاً، فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت!).

٦ـ وعن سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ قال: مرّ عمر بحسّان وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه، فقال: قد كنت أنشد، وفيه من هو خير منك!. ثم التفت حسّان إلى أبي هريرة فقال: أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: أجب عنّي، اللهم أيده بروح القدس؟ قال: اللهم نعم)(٥٦) فانطلق عمر عنه.(٥٧)

لا ريب أن ثمة تعارضاً ظاهراً بين الأحاديث المبيحة لقول الشعر واستماعه، والأحاديث الناهية عنه، فهل وقع نسخ بين

---

(٥٥) هيه وإيه اسم فعل يفيد الطلب، فإذا كسرت الهاء فمعناه: طلب الاستزادة من الشيء المعين ذاته. وإذا نوّنت الكسر كانت لمطلق الاستزادة من غير تعيين (هيهٍ وهيهٍ).

(٥٦) أخرجه أبوداود في الأدب رقم (٥٠١٣) والنسائي ـ واللفظ له ـ في المساجد ٢/٣٧. والطحاوي في معاني الآثار ٤/٢٩٨. وقد اختلف أهل الحديث في سماع ابن المسيب من عمر، وقد استوفيت الكلام عليه في غير هذا الموضع، وقد ذهب إلى صحة سماعه منه جمع من أئمة الحديث وصححه ابن حبان (٢٠٢١ موارد). وغاية ما هنالك أنّه سمعه من أبي هريرة، فأسقط الواسطة!

(٥٧) ذكر هذه الزيادة الطحاوي في معاني الآثار ٤/٢٩٨.

هذه الأحـاديث وتلك، وأيهـا نسـخ الآخر؟ وإذا تعذّر ادعاء النسخ فما وجه الجمع بين هذه الأحاديث وتلك؟ وماذا قال أهل العلم في ذلك؟!

أما عن النسخ، فلا أعلم أحداً من أهل العلم[٥٨] ادعاه بين هذه الأحـاديث، والنسـخ لا يكـون إلا بتـوقيف من الشارع صحيح، بيّن التاريخ!.

ومن ثم فإننا لا نلجأ إلى القول بالنسخ إلا إذا تعذر الجمع أما والجمع ممكن، فلا حاجة بنا إلى الكلام على النسخ وبخاصة أنه لم يقل به أحد ـ فيما علمت ـ.

---

(٥٨) نعم أخرج أبوداود في الأدب (٥٠١٦) عن ابن عباس قال: (والشعراء يتبعهم الغاوون) فنسخ من ذلك واستثنى فقال: (إلا الذين آمنوا). والاستثناء ليس بنسخ وإنما هو مخصص كما حققته في بحث (دعاوى النسخ في القرآن). لذا فإننا لن نعرّج طويلاً على هذه الدعوى، وإن كنا نشمُّ منها ما يؤيد مذهبنا!

المبحث الرابع
الشعر والشعراء عند العلماء

ذكر الإمام الطحاوي[٥٩] (أن قوماً ذهبوا إلى كراهة الشعر وذكر منهم عمر وابن الزبير وعائشة)! وقال: وقد يجوز أن يكون الشعر الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم.. من الشعر الذي نهى عنه). وكان قد نقل عن عائشة أن الشعر المنهي عنه هو الشعر الذي هجي به النبي صلى الله عليه وسلّم. وبعد أن روى إباحة الشعر في عدد كبير من الأحاديث قال:[٦٠]

(فلما جاءت هذه الآثار متواترة بإباحة قول الشعر؛ ثبت أن ما نهي عنه، ليس لأن الشعر مكروه، ولكن لمعنى كان في خاصّ من الشعر).

وحكى الطحاوي مذهباً آخر في الجمع بين هذه الأخبار قال:[٦١]

(٥٩) معاني الآثار ٤/٢٩٥. وشرح السنة للبغوي ١٢/٣٨٣.

(٦٠) معاني الآثار ٤/٣٠٠.

(٦١) ما سبق الموضع نفسه.

(وقد ذهب قوم في تأويل هذه الآثار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ـ يقصد أحاديث النهي والكراهة ـ إلى خلاف التأويل الذي وصفنا، فقالوا:

لو كان أريد بذلك ما هجي به رسول الله صلى الله عليه وسلّم من الشعر؛ لم يكن لذكر الامتلاء معنى! لأن قليل ذلك وكثيره كفرا، ولكن الامتلاء يدلّ على معنى في الامتلاء ليس فيما دونه). ونقل هذا المذهب عن أبي عبيد، وعبيدالله بن محمد بن عائشة!(٦٢).

وأودّ أن أنقل كلام أبي عبيد لأن لي عليه بعض الملاحظات.

قال أبوعبيد: (٦٣) سمعت (يزيد) يحدث بحديث، أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: (لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يَرِيه، خير له من أن يمتلىء شعراً) يعني: من الشعر الذي هجي به النبي صلى الله عليه وسلّم.

قال أبوعبيد: والذي عندي في هذا الحديث غير هذا القول، لأن الذي هجي به النبي صلى الله عليه وسلّم، لو كان

(٦٢) ويعرف بالعيشي. كان عالماً بالعربية وأيام الناس. النبلاء ١٠/ ٥٦٤.

(٦٣) غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٣٦. وشيخه يزيد: هو يزيد بن هارون المحدّث

شطر بيت؛ لكان كفراً، فكأنه حمل وجه الحديث على امتلاء القلب منه، أنه رخّص في القليل منه!.

ولكن وجهه عندي: أن يمتلىء قلبه من الشعر حتى يغلب عليه، فيشغله عن القرآن وعن ذكر الله، فيكون الغالب عليه من أيِّ الشعر كان.

فإذا كان القرآن والعلم الغالبين عليه، فليس جوف هذا ممتلئاً من الشعر عندنا!).

ولي على كلام أبي عبيد ثلاث ملاحظات:

١ـ الأولى أنه عمل بمفهوم المخالفة في قوله (فكأنه حمل وجه الحديث على امتلاء القلب منه؛ أنه رخص في القليل منه) أي من الشعر الذي هجي به النبي صلى الله عليه وسلّم.

ومفهوم المخالفة ههنا هو مفهوم الصفة، والأخذ به ضعيف جداً عند المحققين من أهل العلم، من الأصوليين وغيرهم وبخاصة إذا خرج مخرج التنفير والمبالغة!.

ألا ترى إلى قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوٰا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ (٦٤)

جاء محذراً من أكل الربا على الصفة التي كان يتعاطاها أهل الجاهلية، (يقولون : إذا حلّ أجل الدين ، إما أن تقضي وإما أن تربي ، فإن قضاه وإلا زاده في المدة، وزاد الآخر في القدر، وهكذا كل عام ، فربما تضاعف القليل، حتى يصبح كثيراً مضاعفاً) . (٦٥)

فالخطاب ـ كما ترى ـ جاء على وصف التشنيع والمبالغة فلا يصح أن يكون له مفهوم مخالفة أصلاً! حتى لو سلّمنا بأن مفهوم الصفة ثابت عند أهل اللغة! على ما يذكره الحافظ(٦٦) في الفتح .

وقد وقفت على طريفة من طرائف صاحب القاموس عند هذه الآية ، قال : (٦٧)

(المضاعفة : من الضَّعف ـ بفتح الضاد ـ لا من الضِّعف بكسرها ـ والمعنى : ما تعدّدونه ضِعفاً ـ بالكسر ـ هو ضَعف

---

(٦٤) آل عمران ١٣٠ ـ ١٣١ .

(٦٥) تفسير ابن كثير ٢١/٤٠٤ .

(٦٦) انظر فتح الباري ١٠/٥٤٩ .

(٦٧) بصائر ذوي التمييز للفيروزابادي ٣/٤٧٨ .

بالفتح - أي نقص، كقوله تعالى: (يمحق الله الربا، ويربي الصدقات)! .[68]

وقال الزمخشري:[69] (نهى عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه!).

فإذا حملنا الحديث الشريف - ومخرجه كمخرج هذه الآية - على نحو ما حملناها عليه - لم يعد لمفهوم المخالفة من معنى، واللازم الذي يريد أبوعبيد أن يلزم به لا يلزم.

٢- والملاحظة الثانية: في قول أبي عبيد: (فيكون الغالب عليه من أي الشعر كان).

فهذا اللفظ عام، قد أخرج منه هو، ما هُجي به النبي صلى الله عليه وسلّم. ولو شطر بيت منه!.

ويخرج منه أيضاً ما هجي به أهل بيته صلى الله عليه وسلّم، لأن هجاءهم كهجائه، ومحبتهم من محبته!.

دخل العباس بن عبدالمطلب - رضي الله عنه - على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، مغضباً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (ما أغضبك!) فقال: يا رسول الله! أرى قوماً من

---

(٦٨) البقرة: ٢٧٦.

(٦٩) الكشاف ١/٤٦٣.

قريش يتلاقون بينهم بوجوه مبسفرة، وإذا لقونا ـ يقصد آل البيت ـ لقونا بغير ذلك، فغضب النبي صلى الله عليه وسلّم، حتى احمرّ وجهه، وقال:

(والذي نفسي بيده، لا يدخل قلبَ رجل إيمان، حتى يحبّكم لله ورسوله...)[٧٠] الحديث.

وإذا أخْرَجْنا من الشعر ما انتقص به جلال الله تعالى وعظمته ـ كما يفعله بعض فجّار الشعراء الأشرار! في زماننا هذا ـ من باب أولى؛ فإنه يبقى عموم الشعر عند أبي عبيد جائزاً للرجل أن يقوله، أو يرويه، أو يستمع إليه شريطة ألا يغلب على القرآن والعلم، لأنه قال: (من أي الشعر كان)!!.

ولا ريب أن هذا العموم يدخل تحته شعر المجون والغزل الهابط ـ الذي يتنزّل صاحبه إلى وصف أدوات زينة معشوقته وثيابها، والحمّام!! ـ والشعر المثير لعواطف ونزوات الشباب والشوابّ، ليجعل منهم عبّاد شهوة، وأسرى الرذيلة!.

ويدخل في هذا العموم إحياء المآثر الفرعونية، والآشورية، والبابلية، والدعوات القومية والعنصرية، التي يراد لها أن تحلّ

---

(٧٠) أخرجه الترمذي في المناقب، باب مناقب العباس، رقم (٣٧٥٨) وقال: حسن صحيح!

محل عقيدة الإسلام في نفوس أهله! . . إلى غير ذلك.

بل قل: يدخل تحت عموم قول أبي عبيد كل أصناف الشعر وألوانه سوى ما كان انتقاصاً للنبي صلى الله عليه وسلم أو كان انتقاصاً لمقام الله تعالى بالأَوْلى!.

إن عبارة أبي عبيد ـ رحمه الله ـ تعم في ظاهرها ما سبق كلّه وغيره، ومثل هاتيك العمومات كثيراً ما يطلقها بعض أهل الحديث، ولا يريدون العموم، فيوقعون من بعدهم بالغلط! على أننا نأبى لأبي عبيد ـ وهو العالم الجبل، والأديب الأريب ـ مثل هذا، وإنما جرينا على نقده بمثل استنتاجه! ولعلّ له عذراً فيما ذهب إليه، لأن الرجل لغوي وأصول اللغة غير أصول الفقه!.

وإلا فمضمون كلامه ـ بغض النظر عن التعميمات ـ يمكن أن يفسّر تفسيراً مقبولاً، لأن المسلم الذي يغلب عليه القرآن والعلم لا يسمح للشعر المنافي لهما أن يستولي على قلبه ويستأثر به، ولا أن يشرك مع القرآن والعلم في صدره ما ينافيهما. فالقرآن طيب، والعلم طيب وضابط لسلوك المرء فلا يسمح له بالزيغ والضلال بإذن الله!.

٣ـ الملاحظة الثالثة في قول أبي عبيد: (لأن الشعر الذي هجي به النبي صلى الله عليه وسلّم، لو كان شطر بيت لكان كفراً!).

إن هذا القول يحتمل ثلاثة احتمالات:

١ـ الأول: أن ينظم الشاعر شعراً فيه هجاء للنبي صلى الله عليه وسلّم.

٢ـ الثاني: أن يستمع مسلم لشاعر يلقي قصيدة، فإذا به ينتقص النبي صلى الله عليه وسلم فيها، أو في شطر بيت منها!.

٣ـ الثالث: أن يروي عالم، أو مصنف في كتابه، أو في محاضراته ودروسه بعض ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلّم.

أما الاحتمال الأول: فلا ريبَ في أن المسلم الذي يهجو النبي صلى الله عليه وسلم، أو ينتقصه بشيء مما هو عند أهل الحقّ نقيصة، فإنه يكفر!

وأما الاحتمال الثاني: فإن الذي يلزم المستمع الإنكار باليد، واللسان، والقلب، حسب قدرته على الإنكار، على أنه يكفيه إنكار قلبه ليبقى في دائرة الإسلام!.

أما إذا استروح إلى هذا الانتقاص، وانشرح له صدره، فهو ممن شرح بالكفر صدراً.

هذا كله على تقدير أنه علم المعنى المكفِّر وانشرح والجاهل له حكم آخر!.

والاحتمال الثالث يلزم صاحبه زيادةً على الإنكار والتفنيد أن يكون ثمة حاجة إلى إيراد مثل هذه الأبيات، أما إذا لم تكن ثمة حاجة، فلا يجوز إيرادها، فإن أوردها ـ وهو لا يعتقد ما فيها ولا يستروح له ـ فإنه آثم ولا يُكَفَّر.

نقل الحافظ ابن حجر في الفتح عن السهيلي أنه ذكر استشكال أبي عبيد وقال:[71]

(إن الذي يروي ذلك على سبيل الحكاية لا يكفر، ولا فرق بينه وبين الكلام الذي ذمّوا به النبي صلى الله عليه وسلّم).

وهذا هو الجواب عن صنيع ابن إسحاق في إيراده بعض أشعار الكفرة في هجو المسلمين.

فتفسير أبي عبيد رحمه الله للنهي الوارد في هذه الأحاديث من أنه الشعر الذي يغلب على صفحة قلب الإنسان، حتى يصرفه عن القرآن والعلم وغير ذلك من الأعمال التي ينبغي أن

---

(71) فتح الباري ١٠/ ٥٤٩.

يقوم بها المسلم؛ هو تفسير مقبول ومعقول إذا سلم مما اعترضناه عليه، إضافة إلى ما ذكره غيره، من حمله على الشعر الذي هجي به النبي صلى الله عليه وسلّم، والمسلمون. بل وما هو أعم من ذلك كله، كالشعر الذي يعنى بالتشبيب بالنساء، وإثارة الشهوات.

أخرج الإمام الطحاوي عن الإمام التابعي عامر بن شراحيل الشعبي أنه كان جالساً مع بعض الصحابة، فكانوا يتناشدون الأشعار، فوقف عليهم عبدالله بن الزبير، فقال: في حرم الله وحول الكعبة، تتناشدون الأشعار؟.

فقال رجل منهم: (يا ابن الزبير إن رسول الله صلى الله عليه وسلّم إنما نهى عن الشعر إذا أُتّيت[٧٢] فيه النّساء، وازدري فيه الأموات).[٧٣]

أما لماذا جاء هذا التشنيع، وهذه المبالغة الشديدة في قوله صلى الله عليه وسلم[٧٤]: (لأن يمتليء جوف أحدكم قيحاً

---

(٧٢) أُتّيت ـ بضم أوله وتشديد التاء المكسورة وفتح الياء ـ من قولهم: استأتت الناقة: إذا أرادت الفحل!!.

(٧٣) شرح معاني الآثار ٤/٩٧.

(٧٤) تقدّم تخريجه.

حتى يَرِيَه،[75] خير له من أن يمتلىء شعراً).

والرواية الأخرى: [76] (لأن يمتلىء جوف أحدكم من عانته إلى لهاته قيحاً يتخضخض،[77] خير له من أن يمتلىء شعراً!).

فيقول الحافظ ابن حجر في الجواب على ذلك: [78]

(مناسبة هذه المبالغة في ذم الشعر، أن الذين خوطبوا به كانوا في غاية الإقبال عليه، والاشتغال به، فزجرهم عنه ليقبلوا على القرآن، وعلى ذكر الله وعبادته، فمن أخذ من ذلك ما أمر به؛ لم يضرُّه ما بقي عنده مما سوى ذلك! والله أعلم).

ويحسن أن نختم هذا المبحث بكلام بعض أهل العلم الفقهاء، لنرى رأيهم في الشعر!

قال الإمام ابن قدامة في المغني: [79]

---

(٧٥) الوَرْي: بفتح الواو وسكون الراء، داء يفسد الجوف، فالمعنى أن يفسد القيح جوفه فيصيبه بهذا الداء البغيض.

(٧٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير وحسنه الهيثمي في المجمع ٨/١٢٠ وأخرجه الطحاوي في معاني الآثار ٤/٢٩٥. والخطابي في غريب الحديث ٢/٥٠٣، وحسنه الحافظ في الفتح ١٠/٥٤٨.

(٧٧) يتخضخض: يتحرك، فانظر ما أقبح هذه الصورة، وما أبرع تصويرها؟!

(٧٨) فتح الباري ١٠/٥٤٨.

(٧٩) المغني لابن قدامة ١٢/٤٤.

(وليس في إباحة الشعر اختلاف، وقد قاله الصحابة والعلماء ، والحاجة تدعو إليه لمعرفة اللغة العربية والاستشهاد به في التفسير ، وتعرّف معاني كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلّم .

ويستدل به أيضاً على النسب والتاريخ وأيام العرب، ويقال: الشعر ديوان العرب. . إلى أن قال ـ رحمه الله ـ : فما كان من الشعر يتضمن هجو المسلمين، والقدح في أعراضهم أو التشبيب بامرأة معينة، والإفراط في وصفها، فقد ذكر أصحابنا ـ الحنابلة ـ أنّه مُحرَّم وهذا إن أريد به أنه محرّم على قائله ؛ فهو صحيح ، وأما على روايته فلا يصحّ ، فإن المغازي تروى فيها قصائد الكفار الذين هاجوا بها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولا ينكر ذلك أحد! .

فأما الشاعر: فمتى كان يهجو المسلمين، أو يمدح بالكذب، أو يقذف مسلماً ومسلمة، فإن شهادته تردّ، وسواء قذف المسلمةَ بنفسه أو بغيره.

وقد قيل: أعظم الناس ذنباً، رجل يهاجي رجلاً، فيهجو القبيلة بأسرها!) أ. هـ.

وقال سيد الفقهاء الشافعي[٨٠] رحمه الله :

(الشعر كلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيحه[٨١] غير أنه كلام باق سائر، فذلك فضله على الكلام .

فمن كان من الشعراء لا يعرف بنقص المسلمين وأذاهم والإكثار من ذلك، ولا بأن يمدح فيكثر الكذب؛ لم تردّ شهادته. ومن أكثر الوقيعة في الناس على الغضب، أو الحرمان، حتى يكون ذلك ظاهراً كثيراً مستعلناً، وإذا رضي مدح الناس بما ليس فيهم حتى يكون ذلك كثيراً ظاهراً مستعلناً كذباً محضاً، ردّت شهادته بالوجهين - يقصد بالمدح والذم - وبأحدهما لو انفرد به.

ومن شبب بامرأة بعينها ليست ممن يحلّ له وطؤها حين شبّب فأكثر فيها، وشهرها شَهْر مثلها بما يشبّب - وإن لم يكن زنى - ردّت شهادته.

---

(٨٠) الأم ٦/ ٢١٢ ومناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٦٠. وانظر كلاماً طيباً في شرح السنة ٨/٣٨٢.

(٨١) ما بين هذين القوسين روي نحوه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلّم قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ١٢٢. رواه الطبراني في الأوسط من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، وقال: لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلّم إلا بهذا الاسناد. قال الهيثمي : وإسناده حسن!

ومن شَبَّبَ فلم يسمّ أحداً؛ لم تردَّ شهادته، لأنه يمكن أن يشبب بامرأته وجاريته. وإن كان يسأل بالشعر أو لا يسأل فسواء!...).

المبحث الخامس
حاجة العلماء الى معرفة الشعر

قال الإمام الشافعي : (لا يحلّ لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلًا عارفاً بكتاب الله ، بناسخه ومنسوخه ، وبمحكمه ومتشابهه ، وتأويله وتنزيله ، ومكيّه ومدنيّه ، وما أُريد به ، وفيما أنزل . ثم يكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، بالناسخ والمنسوخ ، ويعرف من الحديث ما عرف من القرآن .

ويكون بصير باللغة ، بصيراً بالشعر ، وبما يحتاج إليه للعلم والقرآن .

ويستعمل هذا مع الانصاف ، وقلة الكلام ، ويكون بعد هذا مشرفاً على اختلاف أهل الأمصار وتكون له قريحة بعد هذا ، فإذا كان هكذا ؛ فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام ، وإذا لم يكن هكذا ؛ فليس له أن يتكلّم في العلم ولا يفتي) . (٨٢)

---

(٨٢) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٢ / ١٥٧ وانظر عن الأئمة نحو ذلك في جامع بيان العلم ٢ / ٤٣ فما بعد .

والشافعي نفسه يبين سبب طلبه اللغة والشعر فيقول: (٨٣) (ما أردت بتعلم العربية والأخبار إلا الاستعانة على الفقه!).

وقد قال فيه المبرّد: (٨٤) كان الشافعي من أشعر الناس وآدب الناس، وأعرفهم بالقراءات)!.

وقد كتب أبومنصور الأزهري صاحب تهذيب اللغة كتاباً حافلاً سماه:

(الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي)(٨٥) وكتب ابن فارس كتاباً سمّاه: (حلية الفقهاء)(٨٦) وكلاهما متداول مشهور!.

والذي يطالع في كتاب (الأم)(٨٧) للشافعي، يرى لغة قوية فريدة! ويجد تفسيرات لآي من القرآن الكريم، وأحاديث شريفة، لا تخطر على بال!.

والإمام الطبري صاحب تفسير الإسلام الأعظم! يقول: (وأول ما نبدأ به من القيل في ذلك ـ التفسير ـ : الإبانة عن

---

(٨٣) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/٤٢. وسير النبلاء للذهبي ١٠/٧٥.

(٨٤) مناقب الشافعي ٢/٤٨. والنبلاء ١٠/٨٠ وانظر أقوالاً كثيرة في النبلاء ١٠/٧٠ فما بعد!

(٨٥) حققه الدكتور محمد جبر ألفي وطبعته وزارة الأوقاف الكويتية.

(٨٦) حققه الدكتور عبدالله التركي ونشرته الشركة المتحدة للتوزيع ببيروت ١٤٠٣هـ.

(٨٧) عسى أن يكون المقال التالي عن لغة الإمام الشافعي إن شاء الله.

الأسبـاب التي البـداية بهـا أولى، وتقـديمهـا قبل ما عداها أحرى، وذلك البيان عما في آي القرآن من المعاني التي من قبلها يدخل اللَّبْس على من لم يعان رياضة العلوم العربية ولم تستحكم معرفته بتصاريف وجوه منطق الألسن السليقية الطبيعية!).

فالله سبحـانـه وتعـالى أنـزل القرآن الكريم بلسان عربي فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم، لمعاني كلام العرب موافقة، وظاهره لظاهر كلامها ملائماً، وإن باينه كتاب الله بالفضيلة التي فضل بهـا سائـر الكلام والبيان. . فبيّن - إذ كان موجوداً في كلام العـرب الإيجاز والاختصار، والاجتزاء بالاخفاء من الإظهار وبـالقلة من الإكثـار في بعض الأحـوال، واستعمال الاطالة والإكثـار، والتـرداد والتكرار، وإظهار المعاني بالأسماء دون الكنـاية عنهـا، والاسـرار في بعض الأوقـات، والخبـر عن الخـاص في المـراد؛ بالعـامّ الظاهر، وعن العام في المراد بالخـاصّ الـظاهر، وعن الكناية والمراد منه المصرّح، وعن الصفـة والمـراد المـوصوف، وعن الموصوف والمراد الصفة وتقـديم ما هو في المعنى مؤخّـر، وتأخير ما هو في المعنى

مقدّم ، والإكتفاء ببعض من بعض ، وبما يظهر عما يحذف وإظهار ما حقّه الحذف ـ[88] أن يكون ما في كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلّم من ذلك، في كل ذلك له نظيراً[89] وله مثلاً وشبيهاً) . [90]

هذه لغـة العرب! والقرآن عربي، فيتعين على كل متصدّ للقرآن الكريم، مستنبط منه أن يعلم لغة العرب، حتى لا يضلّ ويُضلّ من حديث يريد الخير والهدى.

ولا يخفى على أهل العلم أن الذين كتبوا في لغة القرآن وغريب القرآن، وغريب الحديث ولغة الفقه، إنما فعلوا ذلك خدمة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلّم.

بقي أن ندلـل على ضرورة الاطّـلاع على الأدب واللغة والشعر، لنرى ما فوائده بل ما ضرورته العلمية في خدمة كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلّم.

---

(٨٨) الاعتراض طويل. و (أن يكون) تابعة في المعنى لـ(فبيّن) قبل الاعتراض!.

(٨٩) نصب نظيراً وما بعده على أنها خبر يكون، مع سبقها بالجار والمجرور (له) فتنبّه!.

(٩٠) مقدمة تفسير الطبري ١/٧، ١٢ بتحقيق أحمد ومحمود شاكر.

المبحث السادس
دور الشعر في خدمة القرآن الكريم

إن العلوم التي تخدم القرآن الكريم كثيرة بل هي باختصار كل العلوم الشرعية، والمناجي التي يدخل الشعر منها إلى خدمة القرآن الكريم كثيرة منها : شرح غريبه ، وبيان مشكله وتوجيه قراءاته وتفسير إعرابه، وتوضيح أساليبه البيانية وغير ذلك .

١ـ دور الشعر في شرح الغريب:

أـ في قوله تعالى

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[٩١]

أي : عدلاً خياراً، ومنه قوله تعالى :

قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ [٩٢]

أي خيرهم وأعدلهم .

قال الشاعر:

---

(٩١) البقرة: ١٤٣.   (٩٢) القلم : ٢٨.

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم
إذا نزلت إحدى الليالي بمعظِم[93]

ب ـ وفي قوله تعالى:

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[94]

فما القرء؟!

قال الأعشى:

وفي كل عام أنت جاشم غزوة
تشد لأقصاها عزيم عزائكا
مورثةٍ مالاً وفي الحي رفعة
لما ضاع فيها من قروء نسائكا

قال ابن قتيبة[95]: فالقروء في هذا البيت: الأطهار، لأنه لما خرج للغزو لم يغشَ نساءه فأضاع قروءهن أي: أطهارهنَّ).

وقال الشاعر:

يا رُبَّ ذي ضغن عليّ فارضٍ   له قروء كقروء الحائض!

(٩٣) غريب القرآن لابن قتيبية ص ٦٤. والطبري ١٤٢/٣.

(٩٤) البقرة: ٢٢٨.

(٩٥) غريب القرآن ص ٨٦.

فالقروء في هذا البيت: الحيض، يريد أن عداوته تهيج في أوقـات معلومـة، وإنما جعل الحيض قرءاً والطهر قرءاً، لأن أصل القرء في كلام العرب: الوقت. يقال: رجع فلان لقرئه: أي لوقته الذي كان يرجع فيه، ويقال: رجع لقارئه أيضاً، قال الشاعر:

كرهت العقر عقر بني شُليل   إذا هبت لقارئها الرياح

أي لوقتها، فالطهر يأتي لوقت، والحيض يأتي لوقت.[٩٦]

وتـرجيح أيٍّ المعنيين هو المراد يحتاج إلى إسهاب ليس هذا محلّه![٩٧]

٣ـ وفي قوله تعالى:

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ۝٣٣﴾[٩٨]

وهي الإبـل السـود: البعير الأصفر هو الأسود، لأن سواده تعلوه صفرة! قال الشاعر:

تلك خيلي منه وتلك ركابي   هنّ صفر أولادها كالزبيب!

أي: سـود.

---

(٩٦) غريب القرآن ص ٨٧.

(٩٧) انـظر في ذلك رسالة الشافعي ص ٥٦٢ فما بعد وأحكام القرآن له ١/٢٤٢. والطبري ٤/٥١٢.

(٩٨) المرسلات: ٣٣.

غير أن الصفرة مقصورة على ظاهرها في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾﴾(٩٩)

قال ابن قتيبة:(١٠٠) وقد ذهب قوم إلى أن الصفراء: السوداء! وهذا غلط في نعوت البقر! وإنما يكون ذلك في نعوت الإبل.. ومما يدلك على أنه أراد الصفرة بعينها، قوله **(فاقع لونها)** والعرب لا تقول: أسود فاقع - فيما أعلم - وإنما تقول: أسود حالك وأحمر قاني، وأصفر فاقع!.

وأيّاً ما كان الراجح، فالذي يعنينا دور الشعر في فهم الغريب وتفسيره.

٤- وفي قوله تعالى:

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾(١٠١)

ذكر ابن قتيبة أن لكلمة (إل) عدة معان: فهي بمعنى العهد، وبمعنى (الله) عزّ وجلّ، وبمعنى الرحم، غير أن

---

(٩٩) البقرة: ٦٩.

(١٠٠) غريب القرآن ص ٥٣-٥٤، و ٥٠٥. وانظر الطبري ٢/ ٢٠١ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٤٦.

(١٠١) التوبة: ١٠.

تفسيرها بمعنى الرحم حسن كما يقول، واستدل له بقول حسان:

لعمرك إن إلّك في قريش كإلّ السقب من رأل النعام

أي رحمك وقرباك. يريد تعالى: إن المشركين لم يكونوا يرقبون في قراباتهم من المسلمين رحماً.(١٠٢)

٢ـ دور الشعر في توجيه القراءات القرآنية:

لا يخفى على ذي علم أن القراءات القرآنية متواترة عن أئمة القـرّاء، ـ من حيث الجملة ـ تواتـراً شفوياً وكتابياً، وقد ذكر الامـام الهـذلي في كتـابه (الكامل في القراءات الخمسين) أسـانيد وطرقـاً لا تحصى، وقبله ذكر ابن مجاهد في كتابه (السبعة فى القراءات) بعض أسانيده، وتبعه أبوعمرو والداني وابن الجزري في النشر وعشرات من القرّاء المصنفين.

وأما عن تواترها إلى النبي صلى الله عليه وسلّم، فإن هؤلاء القـرّاء جميعهم إمـا من التـابعين ، أو من أتبـاع التـابعين والقراءات بمجموعها منقولة عن النبي صلى الله عليه وسلّم

(١٠٢) تأويل مشكل القرآن ص ٤٤٩ فما بعدها. وقارن بتفسير الطبري ٥٩/١٠ فما بعدها.

بالتواتر الشفوي فيما بينه وبين هؤلاء القرّاء الذين اختار الواحد منهم من قراءات النبي صلى الله عليه وسلّم ما أختار وارتضى إذ القراءات إنما كانت في أول الأمر رخصة رخّص بها الله تعالى لعباده المؤمنين ،، ليسهل عليهم تلاوة القرآن الكريم كل حسب لهجته، وطريقة أدائه، ومدى استقامة لسانه.

وهذا أمر يطول شرحه هاهنا. (١٠٣) ولكنني أحببت لفت نظر الإخوة الذين لا علم لهم بهذا النوع من العلم، حتى لا يطلقوا التبديع والحدوث على كل ما لا يعرفونه. إذ أهل كل فن هم أعلم بفنّهم ـ كما يقول الشوكاني في إرشاده!.

ولما كان اختلاف القراءات قد يؤدي إلى اختلاف في الإعراب وفي المعنى، فإن عدداً من أئمة القراءة والعربية كتبوا في توجيه القراءات، وإليك نماذج من ذلك.

١ـ في قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾.

قراءتان. فقرأ عاصم والكسائي (مالك) وقرأ الباقون ـ من السبعة ـ (ملك). واختلف أصحاب التوجيه هل الاشتقاق من (المِلك) أبلغ في المدح أو اشتقاقه من (المُلك)؟ فرجح

(١٠٣) وقد كتبت في هذا الموضوع بحثاً يسّر الله نشره.

بعضهم أن اشتقاقه من (المِلك) أبلغ.[104] قال (والدليل على هذا أن شاعراً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو امرأته فقال:

يا مالك الملك وديّان العربْ   إليك أشكو ذَربةً من الذّربْ

فمالك أمدح من ملك لأنه يشمل الملك وغيره.

٢ـ في قوله تعالى:

مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾

في حجة القراءات:[106]

قرأ نافع وابن عامر وأبوعمرو وحفص: (جِبريل) بكسر الجيم والراء، وحجتهم[105] قول الشاعر:

وجبريل رسول الله فينا   وروح القدس ليس له كفاء

وقرأ حمزة والكسائي (جَبْرَئيل) بفتح الجيم والراء مهموزاً قبل الياء. قال الشاعر:

شهدنا فما تلقى لنا من كتيبة   مدى الدهر إلا جبرئيل أمامها

---

(١٠٤) حجة القراءات لابن زنجلة ص ٧٨ فما بعدها.

(١٠٥) يقصد ما يحتج لهذه القراءة من اللغة، وإلاّ فإن القراءة المتواترة هي الحجة على اللغة!

(١٠٦) ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

٣ـ وفي قوله تعالى:

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. آل عمران: ١٤٦

قال ابن زنجلة:[١٠٧] (قرأ ابن كثير: (وكائن من نبي) على وزن (كاعن) وحجته قول الشاعر:

وكائنْ بالأباطح من صديق   يراني لو أُصبت هو المصابا

وقرأ الباقون: (وكأيّن) وحجتهم قول الشاعر:

كأيّن في المعاشر من أناس   أخوهم فوقهم وهم كرام

وهما لغتان جيدتان، يقرأ بهما.

٤ـ وفي قوله جلّ اسمه حكاية عن زوجة عزيز مصر ليوسف عليه السلام:

﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾. يوسف ٢٣

قال ابن زنجلة[١٠٨]: (قرأ أهل العراق[١٠٩]: (هيت) بفتح الهاء والتاء، وحجتهم قول الشاعر:

---

(١٠٧) حجة القراءات ص ١٧٤.

(١٠٨) ما سبق ص ٣٥٧ فما بعدها.

(١٠٩) أهل العراق من السبعة: عاصم وحمزة والكسائي: كوفيون، وأبوعمرو بن العلاء: بصري.

أبلغ أمير المؤمنين
- أخا العراق - إذا أتيتا
أن العراق وأهله
عُنقٌ إليك فهيت هيتا . .

وقرأ ابن كثير: (هَيتُ) بفتح الهاء وضمّ التاء، وحجته قول الشاعر:

ليس قومي بالأبعدين إذا ما
قال داع من العشيرة: هَيْتُ
هم يجيبون ذا (هَلُمَّ) سِراعاً
كالأبابيل لا يغادر بيتُ

٣ـ دور الشعر في توجيه إعراب القرآن:

سواء قلنا بأن الإعراب فرع عن تصوّر المعنى، أو قلنا بأن المعنى يتبع حركة الإعراب، فإن للشعر دوراً بارزاً في هذا كلّه، وإليك نماذج موضحة:

١ـ قال تعالى:

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ (١١٠)

---

(١١٠) الشورى: ٣٠.

قال أبو جعفر النّحاس[111]: (هذه قراءة الكوفيين والبصريين، وكذا في مصاحفهم - بالفاء - وقرأ المدنيون: (بما) بغير فاء، وكذا في مصاحفهم.

- فالقراءة بالفاء بينة، لأنه شرط وجوابه.

- والقراءة بغير فاء فيها للنحويين ثلاثة أقوال:

١- أحدها: أن يكون (ما) بمعنى الذي فلا تحتاج إلى جواب بالفاء..

٢- والقول الثاني أن يكون (ما) للشرط، وتكون الفاء محذوفة.

كما قال الشاعر:

من يفعل الحسنات؛ الله يشكرها
والشرّ بالشرّ عند الله مثلان

وهذا يدلّ على أن حذف الفاء في الشرط جائز حسن، لجلال من قرأ به.[112]

٣- والثالث: أن (ما) ههنا للشرط، إلا أنه جاز حذف الفاء لأنها لا تعمل في اللفظ شيئاً وإنما وقعت على الماضي! وهذا

---

(١١١) إعراب القرآن للنحاس ٣/٦١-٦٢. وهذا ثابت في مصحف ورش عن نافع.

(١١٢) وهذا يؤكد ما ذكرته آنفاً، من أن القراءة إذا ثبتت؛ كانت حجة على اللغة نفسها.

أولى الأقوال بالصواب.)أ. هـ

٢ـ وقال عزّ من قائل:

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ۝٣٥﴾[١١٣]

قال النحاس:[١١٤] (قرأ أبوجعفر، وشيبة بن نصاح، ونافع والكوفيون بالرفع.. وهو أبين في العربية ، لأنه لا إشكال فيه فيكون معطوفاً على (شُواظٌ)..

وقرأ ابن كثير وأبوعمرو (ونحاسٍ) بالخفض. فإن خفضت عطفته على (نارٍ) واحتجت إلى الاحتيال.. فالتقدير: شواظ من نار ومن نحاس، والشواظ لا يكون من النحاس، كما أن اللهب لا يكون من الدخان إلا على حيلة واعتذار، والذي في ذلك من الحيلة ـ وهو قول أبي العباس محمد بن يزيد المبرّد ـ أنه لما كان اللهب والدخان جميعاً من النار، كان كلّ واحد منهما مشتملاً على الآخر، وأنشد للفرزدق:

فبتُّ أقدّ الزاد بيني وبينه ... على ضوءِ نارٍ مرة ودخانِ

(١١٣) الرحمن: ٣٥.

(١١٤) إعراب القرآن ٣/ ٣٠٩ـ٣١٠.

فعطف (ودخانٍ) على نار، وليس للدخان ضوء، لأن الضوء والدخان من النّار، ومثله قول الآخر:

يا ليت زوجك قد غدا متقلّداً سيفاً ورمحاً

لأنهما محمولان. والذي يُتقلد السيف ، ويُتنكب القوس ويُشرع الرمح!.

٣ـ وقال تعالى في وصف المطففين:

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ (١١٥)

قال النحاس: (١١٦) (اختلف النحويون في موضع الهاء والميم. فقال جلّتهم ـ أبوعمرو بن العلاء والكسائي والأخفش وغيرهم ـ : موضع الهاء والميم موضع نصب(١١٧).. وهو الصواب فنسق الكلام يدلّ على ذلك، لأنه قبله (إذا اكتالوا على الناس)، فيجب أن يكون بعده: وإذا كالوا لهم، وحذفت اللّام.. فحرف الخفض يحذف فيما يتعدى إلى مفعولين أحدهما بحرف، كما قال الشاعر:

(١١٥) المطففين: ٣.

(١١٦) إعراب القرآن للنحاس ٣/٦٤٩ ـ ٦٥٠ باختصار.

(١١٧) يقصد في موضع نصب بنزع الخافض. والكلام الآتي يدلّ عليه ويوضحه.

أمرتك الخيرَ فافعل ما أمرت به
فقد تركتك ذا مال، وذا نشب

وقال آخر:

نُبِّيت عبدالله بالجوّ أصبحت
كراماً مواليها، لئيماً ضميمها)

أ. هـ.

ففي البيت الأول نصب (الخير) بنزع الخافض (الباء).
ونصب الثاني بحذف الخافض (عن).

والحديث عن الجوانب التي يخدم فيها الشعر كتاب الله تعالى كثيرة عديدة، ومن يمسك تفسير الإسلام الأعظم (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) يجد أنه لا يكاد تخلو صحيفة من صحائفه من استشهاد ببيتٍ شعري، أو مقطوعة نثرية، أو قاعدة لغوية، أو بيانية بنيت على ذلك...

المبحث السابع
دور الشعر في خدمة السنة النبوية

قال الإمام الخطابي[118] ـ رحمه الله ـ :

(إن الحديث لما ذهب أعلامه بانقراض القرون الثلاثة واستأخر الزمان، فتناقلته أيدي العجم، وكثرت الرواة، وقلّ منهم الوعاة. وفشا اللحن، ومرنت عليه الألسن اللكن، رأى أولو البصائر والعقول، والذّابون عن حريم الرسول؛ أن من الوثيقة في أمر الدين، والنصيحة لجماعة المسلمين؛ أن يعنوا بجمع الغريب من ألفاظه، وكشف المُغْدَف من قناعه، وتفسير المشكل من معانيه، وتقويم الأود من زيغ ناقليه؛ أن يدوّنوه في كتب تبقى على الأبد، وتخلد على وجه السند،[119] لتكون لمن بعدهم قدوة وإماماً، ومن الضلال عصمة وأماناً . .) .

فكتب غريب الحديث إنما دوّنت إذاً لفشوّ اللحن، وفساد السليقة، وعجمة الألسن فصار طبيعياً أن يبعد الناس عن

---

(١١٨) غريب الحديث للخطابي ٤٧/١ .

(١١٩) السند ـ محركة ـ : ما قابلك من الجبل وعلا من السفح، ومعتمد الانسان، وفي المطبوع (المسند)!!

كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلّم، لأن فيهما ألفاظاً كثيرة غريبة تحتاج إلى شرح وإيضاح. بل إن طلبة العلوم الشرعية أنفسهم أصبحوا بحاجة ماسة ليفرّغوا ردحاً من أعمارهم يقضونه في تعلم (الوسائل) وتنمية القرائح، وإصلاح السليقة! وسأعرض نماذج مما خدم به الشعر السنة النبوية، إن في شرح الغريب، أو في تقويم اللحن والتصحيف.

١ـ دور الشعر في شرح غريب الحديث:

إن استعراض مثل هذا ضرب من ضياع الوقت، وحسبك أن تفتح أي كتاب من كتب غريب الحديث، لترى مئات الأبيات الشعرية التي سيقت لهذا الغرض وقد استشهد أبوعبيد في كتابه (غريب الحديث)[١٢٠] بأكثر من ألف بيت شعري ورجز وأكثر من مائة أشطار أبيات! واستشهد ابن قتيبة[١٢١] في كتابه الذي اعتبره تتميماً لكتاب أبي عبيد بأكثر من سبعمائة بيت شعري ورجز، وأشطار!!

---

(١٢٠) انظر فهرس غريب الحديث لأبي عبيد، فهرس الشعر ص ٥٨٠ـ٦١٧ في مجلة مركز البحث العلمي في جامعة أم القرى العدد الرابع.

(١٢١) فهرس غريب الحديث لابن قتيبة ٣/ ٧٨٥ـ٨٢٩.

وأبوسليمان الخطابي الذي صنف كتابه استدراكاً وتكملة لهذين الكتابين وغيرهما مما سبق قد استشهد في كتابه (غريب الحديث)[١٢٢] بأكثر من ألف بيت وخمسمائة بيت شعري ورجز وأنصاف أبيات!

ويكفي في بحثي المتواضع هذا أن أذكر بعض النماذج الموضحة، تاركاً الاستزادة ـ لمن شاء ـ في صحائف كتب الغريب كلّها أو جلّها. وسأعرض أول شاهد من كل كتاب من هذه الكتب الثلاثة السالفة الذكر، من غير تصيّد ولا تكلّف!.

١ ـ في حديث النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال: [١٢٣]

(زويت لي الأرض، فأريت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زُوي لي منها).

قال أبوعبيد: [١٢٤] سمعت أباعبيدة معمر بن المثنى يقول: زويت: جمعت، ويقال: انزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوا، وتضامّوا، وانزوت الجلدة من النار: إذا انقبضت

---

(١٢٢) فهرس غريب الحديث للخطابي ٣/٥٣٥ـ٦١٤.

(١٢٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٧٨، ٢٨٤. ومسلم في الفتن رقم (٢٨٨٩)/١٩. وأبوداود في الفتن رقم (٤٢٥٢)، والترمذي في الفتن رقم (٢١٧٦) وابن ماجة في الفتن رقم (٣٩٥٢). واللفظ له.

(١٢٤) غريب الحديث له ١/٣ـ٤.

واجتمعت . .

قال أبـوعبيد : ولايكـاد يكـون الانـزواء إلا بانحـراف مع تقبُّض . قال الأعشى :

يزيد يغض الطرف دوني كأنما
زوى بين عينيه عليّ المحاجم
فلا ينبسطْ من بين عينيك ما انزوى
ولا تلقني إلا وأنفك راغم!

٢ـ وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلّم قال : (١٢٥)

(أهل الجنة الضعفاء المغلّبون ، وأهل النار كل جعظري جواظ ، جمّاع مناع .

وروى عن أبـي زيد الأنـصـاري سعيد بن أوس ، قال : الجواظ الكثير اللحم ، المختال في مشيته ، يقال : جاظ يجوظ جوظاناً ، وقال الأصمعي فيه نحو ذلك ، وأنشد لرؤبة :

يعلـو به ذا الـعَـضَـل الجوّاظـا

---

(١٢٥) أدخـل أبوعبيد حديثاً في آخر ـ فيما يبدو . وذكر الجواظ والجعظري أخرجه أبوداود في الأدب رقم ٤٨٠١ . والحديث بنحو هذا غير كلمة الجعظري عند البخاري في تفسير سورة القلم (رقم ٤٩١٨) ومسلم في الجنة رقم (٢٨٥٣) .

وقال أبوزيد: والجَعظري، الذي يتنفج بما ليس عنده، وهو إلى القصر ما هو.

قال قال الأصمعي في رجزله يصف رجلاً:

ليس بقسّاس ولا نمّ نَجِث
ولا بجوّاظ العشيّات مَغِث [126]

٣ـ وفي حديث[127] النبي صلى الله عليه وسلّم أنهم كانوا معه في سفر، فأصابهم بُغَيش، فنادى مناديه: (من شاء أن يصلي في رحله فليفعل).

قوله: بُغيش: تصغير بغش، وهو المطر الخفيف.

قال الأصمعي: أخف المطر وأضعفه الطلّ، ثم الرذاذ، ثم البغش.

يقال: بُغشت الأرض إذا نديت بالمطر، فهي مبغوشة.

قال رؤية بن العجاج:

سيداً كسيد الرَّدْهة المبغوش[128] أ. هـ.

---

(١٢٦) غريب الحديث لابن قتيبة ١/٢٥٦.

(١٢٧) أخرجه البهيقي في السنن ٣/٧١ والخطابي في غريب الحديث ١/٧٢ ولفظهما واحد والحاكم في المعرفة ص ٨٩.

(١٢٨) غريب الحديث للخطابي ١/٧٢.

ب ـ دور الشعر في إصلاح اللحن والتصحيف وسوء التأويل في متون الأحاديث:

١ـ في حديث النبي صلى الله عليه وسلّم: (١٢٩) (يحمل هذا العلم من كل خَلَف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين).

الرواية بتحريك اللّام في الخَلَف، وقد رواه بعضهم بسكون اللّام (خَلْف) فأزال الخبر عن جهته، وأحال معناه، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يقصد بقوله هذا ذمَّ عدول حملة العلم، إنما أراد مدحهم والثناء عليهم. وإنما (الخَلْف) بسكون اللّام خَلْفَ السّوء.

قال الله تعالى:

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ مريم ٥٩

---

(١٢٩) ذكره الخطابي في غريبه بدون إسناد قال: (روي) ١ / ٥٤. وأخرجه ابن عدي في الكامل من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وابن عمر وأبي هريرة وأبي أمامة، وإبراهيم العذري. ١ / ١٥٢-١٥٣وساقه مساق الاستشهاد به. وأخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ص ١١ من حديث معاذ بن جبل مرفوعاً. وغيرهم.

ومنه قول لبيد بن ربيعة العامري:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم
وبقيت في (خَلْفٍ) كجلد الأجرب[١٣٠]

٢ـ في حديث النبي صلى الله عليه وسلّم يخاطب عبدالله بن عمرو بن العاص وكان كثير الصيام والقيام:

(يا عبدالله! إنك لتَصوم الدهر، وتقوم الليل، إنك إذا فعلت ذلك، هجمت له العين، وَنَفِهت له النفس، لاصام من صام الأبد!)[١٣١].

قال أبو أحمد العسكري:[١٣٢] (نَفِهت ـ النون مفتوحة والفاء مسكورة ـ ومن رواه بغير النون فقد أخطأ. وقوله: نفهت: أي ضعفت. . وروى عن ابن الأعرابي أنه أنشد على قوله: نفهت: أي ضعفت:

وأسقي فتية ومنفّهات   أضر بجسمها سفر رجيع

وأنشدني غيره:

به تمطّت غول كلّ مِيلَهِ   بنا حراجيجُ المهَارى النفَّهِ

(١٣٠) غريب الحديث للخطابي ١/٥٤.
(١٣١) اخرجه البخاري رقم (١١٥٣) ومسلم رقم (١١٥٩/١٨٧ـ١٨٨). وغيرهما.
(١٣٢) تصحيفات المحدثين للعسكري ١/٢١١ـ٢١٢.

واحدتها: نافه ونافهة، ويقال: مُنفَه. ونافهٌ.) أ. هـ.

٢ـ قال أبو أحمد العسكري: [١٣٣] (ومما يُغلط فيه حديث، رووه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: [١٣٤]

(يا بغايا العرب، يا بغايا العرب!) وهو خطأ، والصحيح: يا نعاءِ العرب، على معنى: انعَ العرب كأنه يأمر بنعي العرب.

قال الكميت، وذكر (جذامَ)[١٣٥] وانتقالهم إلى اليمن بنسبهم:

نَعاءِ جذاماً غير موت ولا قتلِ ولكن فراقاً للدعائم والأصلِ

وقال بعضهم: إذا قيل: نَعاءِ فلاناً، فمعناه: أنعى إليكم فلاناً.

وقال الأصمعي: يا نعَاءِ العرب تأويلها: انعَ العرب، يا من ينعاهم! كأنه يقول: ذهبت العرب!.

قالوا: وخفض نَعاءِ مثل: قطَامِ . . .

---

(١٣٣) ما سبق ١/ ٢٨٠-٢٨١.

(١٣٤) نسبه صاحب كنز العمال ٣/٤٨٥ إلى أبي يعلى والطبراني بلفظ (يا بغايا العرب). ثم أعاده في ٣/٨١٣ بلفظ: يانعايا العرب. وقال: رواه ابن جرير في تهذيب الآثار. وانظر تعليق المحقق الفاضل في التصحيفات ١/ ٢٨٠.

(١٣٥) قبيلة من القبائل العربية القحطانية.

فالحديث - إن صح - تحسُّر وتوجع وألم! .

٣- قال أبوأحمد العسكري: [١٣٦] ومما يشكل حديث رواه ابن عباس رضي الله عنه قال: (نام النبي صلى الله عليه وسلّم حتى سمعت فخيخه!)[١٣٧] الخاء معجمة، وكذلك التي بعدها.

قالوا: الفخيخ الغطيط، يقال: فخّ في نومه يفخّ فخيخاً: إذا غطّ ونفخ.

وأنشد أبوبكر بن دريد: [١٣٨]

طوبى لمن كانت له مِزخّة　　　يزخّها ثم ينام الفخّة!

---

(١٣٦) تصحفيات المحدثين ١/ ٢٨٥ فما بعد، وغريب الحديث لأبي عبيد ٤/٢٣٨ فما بعدها.

(١٣٧) أخرجه العسكري في التصحيفات ١/ ٢٨٥، وأخرجه أحمد في المسند ٥/١٦٥ بتحقيق أحمد شاكر وقال: إسناده صحيح. و ٥/١٦٩ وهو هناك مصحّفا بلفظ: حتى سمعت جخيفة. وقد وقع أخطاء مطبعية في عزو الحديث، فصححه في التصحيفات ١/ ٢٨٥.

(١٣٨) هذا البيت منسوب لعلي رضي الله عنه، رواه الحاكم في علوم الحديث ص ٩١ وفيه انقطاع. وهو في تاج العروس مادة (زخخ) ٧/ ٢٦٢. قال: والمِزَخّة: موضع الزخّ أي: الدفع، وسميت بذلك لأن الرجل يزخّها، أي: يواقعها؟!

وأظن فيما تقدم غنى على الإطالة ، ومن أراد الاستزادة فعليه بالمصادر التي أحلنا إليها.

وصلى الله وسلم وبارك على نبيه، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

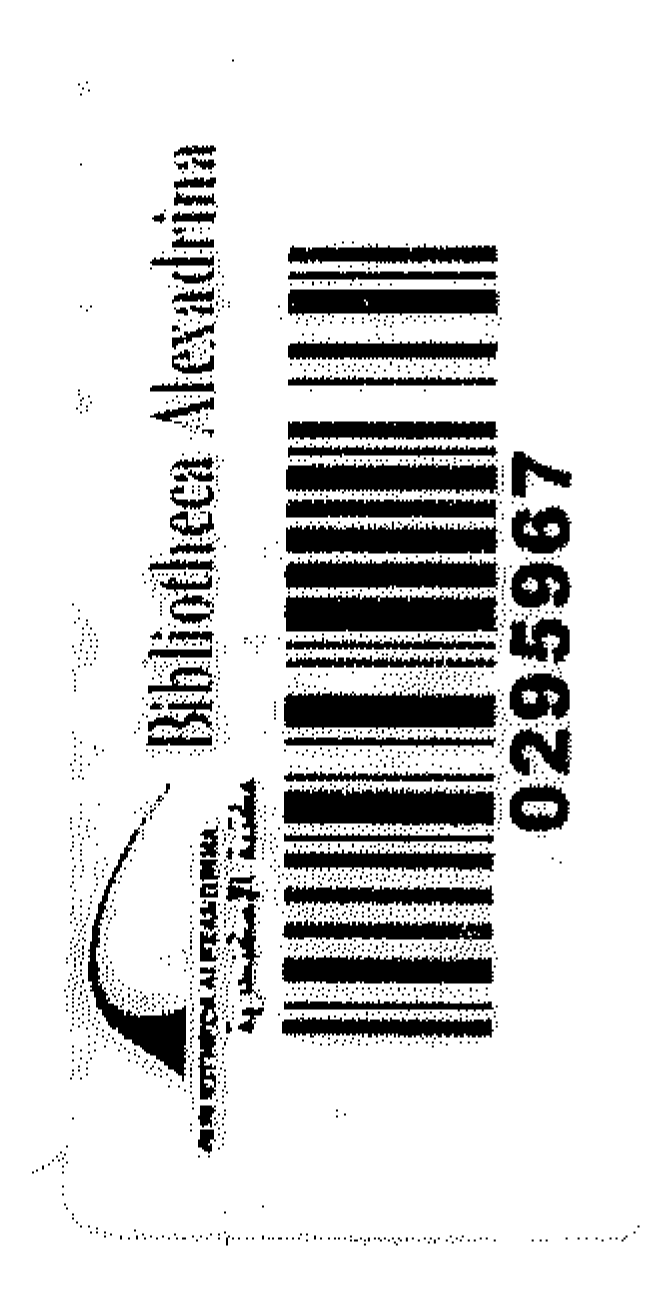
كتبه

عداب محمود الحمش الحسيني

العزيزية - مكة المكرمة

٢٧ رمضان ١٤٠٥هـ

ثبت محتويات الكتاب


Bibliotheca Alexandrina
0295967